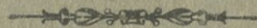


محاضرات دينية

بقلم

البروتو-مجلوس بولس الخوري
صاحب مجلة « الارثوذكسية »



اتفق على طبعتها
اسكندر الياس الخال
وتطلب منه

تمهنا ليرة ايمانية

مطبعة دار الفنون * بيروت ١٩٥٦

A

CA

204 : K 45 m A = C.I

الخوري - (البروتو سنجلاس) بوس

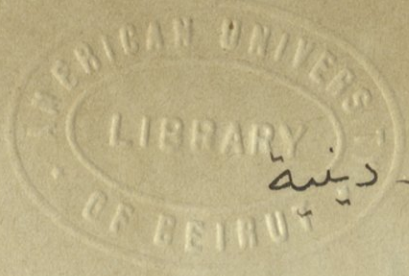
محاضرات دينيه

JAN 29

7297

Cat. Dec. 1946

CA
204
K45m A
C.1



محاضرات دينية

بقلم

البروتو سنجوس بولس الحوري

صاحب مجلة الارثوذكسية

Cat. Dec. 1946

67190

بيروت، مطبعة دار الفنون ١٩٤٦



[Faint, illegible handwritten text]



العلم والدين

اذيقت من راديو الشرق في ١٣ ك ٢ سنة ١٩٤٠
ونشرت في مجلة «الامالي» عدد ١٠ شباط سنة ١٩٤٠

*

تعددت في بلادنا المدارس و كثر عدد المتعلمين وانتشرت بيننا النظريات العلمية الحديثة ، وليس بين الكنب التي يطمعها شباننا ما يشير الى علاقة العلم بالدين . وهذا ما حدا بي لاختيار العلم والدين موضوعاً لحديثي :

سنة ١٩٠١ وقف عالم فرنسي هو « بارتالو » Berthelo والي خطاباً نشرته مجلة باريس « Revue de Paris » قال فيه :

« ينبغي ان يحتل العلم مركز الدين » فهل هذا مستطاع ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال ، لنر ما هو العلم وما هو الدين ؟

العلم هو معرفة الكائنات والمنظورات بحسب اسبابها الاولية ونواميسها بل هو مجموعة المعارف التي توصل اليها الانسان بأبحاثه وملاحظاته واختياراته .

اما الدين فهو شعور غريزي بأن لهذا الكون خالقاً يعتني بما خلق . بل هو الرابطة بين الله والانسان كما تدل الكلمة الفرنسية Religion

قال تواتري : « الدين هو القلب الذي يغذي المجتمع الانساني و كما انه لا قوام لحياة بلا قلب فلا قوام لمجتمع بلا دين ، فالدين اذاً يتركز الى القلب والعاطفة التي مصدرها القلب لا تتغير . فنحن اليوم نشعر كما كان يشعر الاولون : في الحب والبغض في السرور والالام في الامل واليأس . اما العلم فيستند الى العقل . والتفكير الذي مصدره العقل يتبدل بتبدل الزمان والمكان وقد قال سليمان البستاني في مقدمة الاياداة : « العلم كل يوم في شأن يتقلب ويتغير وينحط ويرتقي . فما صلح منه في الامس لا يصلح في الغد ، وما كان منه في الامس صواباً ساطعاً اصبح بعده خطأ فادحاً »

لدين هدف واحد : هداية الانسان الى السعادة الحقيقية . فهو يرافقه من المهد الى اللحد . يرشده الى واجباته نحو الله ونحو نفسه ونحو الآخرين ويفرض عليه محبة اعدائه والاحسان الى المسيئين اليه والرافة بالناس على السواء . وعلى المبادئ الدينية قامت الشرائع المدنية . وان تأييد الدول الديموقراطية للاديان اقرار منها بان المبادئ الديموقراطية : العدل والحريية والمساواة ، هي مبادئ دينية .

لقد جرب العلم ان يحل القضايا الكبرى التي اشغلت الفكر البشري منذ القديم ، ولكنه حتى اليوم لم يحل واحدة منها فكيف يستطيع العلم ان يحل مركز الدين ؟

ان من يدعي ان بإمكان العلم ان يحل محل الدين كمن يدعي ان الانسان يصبح سعيداً اذا عرف ما هو البعد بين الارض والشمس . أعني :

ان سعادة الموء لا تقوم بمعارفه العلمية بل بمحبته لآخوانه الناس . والمحبة هي
ثمرة العاطفة الدينية لا المعارف العلمية .

واليكم علاقة الدين بالفلسفة التي يسمونها علم العلوم :

لقد دعا أفلاطون العلم الذي يبحث عن الكون فلسفة . وسمى أرسطو
الفلسفة التي تبحث فيما فوق الطبيعة لاهوتاً .

الفلسفة تبتدي بالانسان وتنتهي بالله . واللاهوت يبتدي بالله وينتهي
بالانسان . مصدر الفلسفة العقل . ومصدر الدين الله . الدين والفلسفة يتراقان
الى حد معين ثم يفترقان . يتراقان في البحث عن الحقائق التي يدركها
العقل مثل الايمان بوجود الله والنفس . ويفترقان عند البحث عن الحقائق التي
لا يدركها العقل وهي اسرار الدين .

في عام سنة ١٩٣٣ نشر الاستاذ ضومط (١) مقالاً في احدى المجلات (٢) العربية
جاء فيه : « ان العلوم الطبيعية الحديثة قد هزت المعتقدات الدينية الاساسية
من اساسها »

لنبحث هذا الزعم :

ان اساس المعتقدات الدينية هو الايمان بالعلّة الاولى للكائنات .

(١) هو الاستاذ اميل جبر ضومط

(٢) هي مجلة « المجلة » التي اصدرها في بيروت الاستاذ انطون سعادة . اما المقال
فمؤلفه « العلوم الطبيعية والمعتقدات الاساسية » ، نشر في المجلة المذكورة عدد يونيو
سنة ١٩٣٣ الجزء الرابع

والعلوم الطبيعية تبحث في كيفية ظهور الكائنات . ولكنها لا تتعرض
للعلة الاولى . المعتقدات الدينية الاساسية يفيض بها قلب الانسان الذي يتصور
العلة الاولى للكائنات في عالم غير العالم الذي يراه . فمصدرها خفي غير مادي
ودوائر العلوم الطبيعية لا تخرج عن حدود المادة . لم توجد الحياة منذ الازل
على الارض بل ظهرت في زمن معين . فاما انها مولودة واما انها مخلوقة .

في هذا الموضوع نظريات علمية مختلفة سيطرت على العلوم الطبيعية ردحاً
من الزمن ، ثم هوت . لان العلوم الطبيعية ذاتها اثبتت ان تولد الحي من
الجماد مستحيل .

لقد حان لنا ان نعطي جواباً صريحاً على السؤال الذي يحول في خاطر
كل منكم الان :

هل يناقض العلم الدين؟

الجواب : العلم والدين متفقان . ذلك لان العلم ينطبق على ماورد في
الكتب المقدسة عن نشأة الطبيعة والانسان . واذا لاح لنا تناقض ما نوقفه
اذا اعتبرنا الكتب المقدسة مجموعة تعاليم عقائدية واخلاقية اوحى بها في
زمان ومكان معينين بتعابير واصطلاحات تتناسب مع عقلية الشعب الذي
كتبت له ودرجة ثقافته .

وايضاحاً لذلك اقدم هذا المثل : اذا قلنا « طلعت الشمس » لا نكون
عارضنا العلم القائل : ان الشمس ثابتة .

اخواني

مهما تقدم المرء في مضمار العلم لا يستطيع ان يخلق شيئاً جديداً بل
يتعرف بأبحاثه وملاحظاته واختباراته الى القوى الكامنة في الطبيعة المخلوقة
والآية الماثورة : « لا جديد تحت الشمس » تعبر اللفظ تعبير عن هذه الحقيقة
الانسان اكتشف النار قبل علم الطبيعيات وابتكر اللغة قبلي علم البيان
واخترع العلاجات قبل علم الطب .

وأب الفلاسفة سقراط انتهى في أبحاثه الى نتيجة واحدة وهي قوله :
« اعرف شيئاً واحداً وهو اني لا اعرف شيئاً »

يزعم بعضهم ان الدين لم يؤد رسالته . أي لم يهد الانسانية الى السعادة
الحقيقية . ان صح هذا فسيبه عجز الناس عن العمل بوصايا الدين لانه
يتطلب من المؤمن ان ينكر ذاته وان يضحي مصلحته في سبيل مصلحة
الآخرين . وليست هذه بالامور الهينات .

وخلاصة القول :

لكي يتفهم المرء حقيقة المبادئ الدينية ويعمل بها يجب ان يرتفع
بأفكاره وامياله عن المادة ويوفق بين عقله وقلبه ، يتخذ العلم والدين
جناحين يطير بها الى الحقيقة القصوى الى الله .

بولس الرسول في اثينا

اذيعت من راديو الشرق في ٩ اذار سنة ١٩٤١

*

نحن في فصل الربيع . السماء صافية والشمس تنير قبتها الزرقاء . والجبال حول اثينا لبست وشاحها الاخضر . والجنات الغناء اورقت اشجارها الباسقة وغنت على افنانها الاطيار . واشجار الفلنل المنتشرة على جنبات الطرق القوية ازهرت واريحها يعطر الفضاء . وميدان الالعب الارلمبية فتحت ابوابه والشبان المقتولوا السواعد يروضون فيه اجسادهم . والهياكل المزخرفة القائمة في ابرز الاماكن مزودة بالمتعبدين يؤدون فروض دياتهم التي هي مزيج من خرافات تتعلق ببناء المدينة ومبادي . وطنية وقومية . واكمة الاكروبول برزت بهياكلها الفخمة وقائيلها الفنية متحفاً يحمل ذكريات عصر مجيد هو عصر باريكليس وافلاطون وفيدون . واعضاء المجلس الاعلى على رابية « آريوس باغوس » يتداولون في شئون المدينة الادارية والقضائية والسياسية والثقافية والدينية . وطلبة العلم يروحون ويجيئون في الرواق بانتظار اساتذتهم الذين يستنفون عمل الاكاديبا القديمة التي امها امثال شيشرون وفرجيل واغريبا . والاساندة والفلاسفة والعلماء والادباء والخطباء ومعلموا الرياضة البدنية يملأون السوق حتى انك تكاد لا ترى غيرهم ولا

تسمع غير مجادلاتهم ومباحثاتهم .

« والاثنيائيون اجمعون والغرباء المستوطنون لا يتفرغون لشيء سوى ان يتكلموا او يسمعو شيئاً جديداً » (اعمال ١٧ : ٢١) .

وهذا الجديد : رجل غريب يتمشى في السوق . هو غريب بشكله وبمشيته وبلهجته وبنظراته . قصير القامة ، معتدل الجسم ، صغير الرأس اصلعه ، عريض الجبهة ، نافر العينين يعاونهما حاجبان عريضان كثيف اللحية عصبي المزاج .

ها هو يقف امام الهياكل والاصنام مذهوشاً من كثرتها . وهوذا الناس مجتمعون حوله ويتفرسون فيه . هو شرقي بشكله ، سوري بنشأته ، آرامي بلغته ، يهودي بقوميته ، روماني بتابعيته ، وايس عليه من اليونانية غير اللغة !

ها هو يطوف المدينة من اطرافها الى اطرافها وقد استلفت نظره . منها امران : تدين سكانها الظاهر بكثرة هياكلها واصنامها ، وهيكل كتب فوق بابه « للاله المجهول » . فكأن الاثنيائيين خافوا ان يكون هناك اله لم يعرفوا اسمه عدا الآلهة العديدة التي شادروا لها الهياكل فشادوا لارضاء ذلك الاله المجهول هذا الهيكل .

وبينما كان بولس الرسول سائراً في الشارع المؤدي الى الاكروبول رأى في طريقة مسرحاً أثرياً فدخله واذا به في « تياترو ذيونسيسوس » وبينما هو يدقق في أطلاله قرأ اسما كهنه منقوشة على بعض مقاعده الرخامية فقال في

نفسه : هنا يجتمع التدين والفكر الحر . وكم من معتقدان التدين والفكر
الحر لا يجتمعان .

وقضى بواس في اثينا اياماً قليلة دارساً سكانها وعاداتهم وديانتهم
وارآهم الفلسفية وثقافتهم وامياهم الاجتماعية والسياسية . وقابل بين اثينا
التي يراها ابأم عينه ، واثينا التي طاع عنها في الادب اليوناني الذي تلقنه في
مسقط رأسه طرسوس وفي موطن نشأته اورشليم على يد معلمه غملائيل
« واذ رأى المدينة مملوئة اصناما احتدمت روحه فيه » (اعمال ١٧ : ١٦)
وثارت في نفسه الغارة الشريفة المبهودة فيه وصمم ان يحطم هذه الاصنام
، يدك سلطانها ويقيم « الصليب وملكوت الله » على انقاضها . انها جرأة
من رسول الامم ان يتخذ مثل هذا القرار في مدينة العلم الفلسفة والابحار
وهكذا مضى بواس في تنفيذ قواره « فتكلم في المجمع اليهودي وتكلم
في السوق مع الذين كان يصادفهم شارحاً تعليمه الجديد عن يسوع والقيامة »
ولم يكن السوق مركزاً تجارياً فحسب ، بل مركزاً للحركة الاجتماعية
والحياة الدينية .

واخذ الشعب الاثينائي يتحدث عن هذا الزائر الغريب وعن تعليمه
الجديد حتى وصلت اخباره الى اذان الفلاسفة « فتقدم منه بعض الرواقيين
والابيكوريين وباحثوه » . والابيكوريون كانوا يجربون ان يقضوا على
الفكرة الدينية معتبرين اياها نتيجة جهل النواميس الطبيعية . ويفسرون
كل شي . ميكانيكياً وطبيعياً . ويرفضون الاعتقاد بالحق ويهزأون من
الايان بعناية الله ويدعون خرافة . اما الرواقيون فمع ان كانوا يخلطون

بين الخلق والمخلوق كانت نظريتهم الفلسفية في جوهر الله قريبة من التعاليم الدينية .

ولم يفهم الاببيكوريون تعليم بولس وقد عبروا عن استغرابهم اياه بقولهم : « ترى ماذا يريد ان يقول هذا المذار » وهؤلاء معروفون بميلهم للنزول والمجون كما وصفهم التاريخي الشهير « بلوتارخوس »

اما الرواقيون و الجمهور فظنوا ان « يسوع » و « القيامة » آلهان جديدان جاء هذا الشرقي يبشر بهما اذ قالوا : « يظهر انه ينادي بالهة غريبة » . مع كل ذلك كان بولس مطمئناً هذه المرة اكثر من كل مرة . لان حربة الفكر التي لمسها في الشعب الاثينائي فسحت له المجال ليعرب عن افكاره بل الحرية الصراحة دون وجل . بينما كان تعليمه في المدن التي زارها سابقاً يثير اليهود الوثنيين ضده

وفي آخر يوم من ايام اقامته في اثينا بكر الى السوق فرأى الاببيكوريين والرواقيين واعضاء المجلس الاعلى وكثيرين من غيرهم من العلماء والعامة بانتظاره . وكانهم ارادوا ان يسمعوا تحليلاً لتعليمه وأن يعرفوا بصورة اوضح حقيقة الدين الذي جاء يبشر به ويدعو اليه فكلفوه أن يرافقهم الى مكان اجتماع المجلس الاعلى « آريوس باغوس » قائلين له : « هل يمكننا ان نعرف ما هو هذا التعليم الجديد الذي تتكلم به لانك تأتي لي مسامعنا بأمور غريبة فزريد ان نعلم ما عسى ان تكون هذه » . وهذا ما كان بولس يستعد له ويطمح اليه .

هوذا اعضاء لمجلس الاعلى يأخذون مراكرهم على رابية « آريوس باغوس »

وهوذا الابيكوريون والرواقيون وجمهور الشعب يزدحمون حول ذلك المكان المقدس . وهوذا الرسول بولس يقف في وسط المجمع ويلقي خطابه التاريخي .

هي المرة الاولى التي فيها يركز بيشارة الانجيل امام الفلاسفة . وهو اول تماس يقع بين العالم الوثني والمسيحية التي كانت لحد الان منحصرة ضمن دائرة محدودة من الارض ومنتشرة بين الامة اليهودية فقط فأطلق بولس عقاها وارسلها ديانة لجميع الامم في كل انحاء العالم . وهكذا نرى ان رابية « اريوس باغوس » أصبحت منبراً اقمى من فوقه رسول الامم اول عظة من مواعظ الديانة المسيحية للعالم الوثني في الشرق والغرب .

واليكم تعريب الخطاب :

« ايها الرجال الاثينائيون . اراكم من كل وجه كانكم متدينون كثيراً . لانني بينما كنت اجتاز وانظر الى معبوداتكم وجدت مذبحاً مكتوباً عليه « الاله المجهول » فالذي تتقونه وانتم تجهلون هذا انا انا ادي لكم به الاله الذي خلق العالم وكل ما فيه . هذا اذ هو رب السماء والارض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالايدي ولا يخدم بايادي الناس كانه محتاج الى شيء . اذ هو يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء . وصنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على وجه الارض . وحتم بالاوقات المعينة وبحدود مسكنهم كي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع انه عن كل واحد مما ايس بعيداً لاننا به نحيا ونتحرك ونوجد كما قال بعض شعرائكم لاننا ايضاً ذريته . فادان نحن ذرية لله لا ينبغي ان ننظر الالهوت شبيه بذهب او فضة او حجر نقش صناعة واختراع انسان . فالله الان يأمر جميع الناس في كل

« كان ان يتوبوا متقاضياً عن ازمة الجهل لانه عين يوماً هو مزعم فيه ان
يدين المسكونة بالعدل ، برجل قد اختاره مقدماً للجميع ايماناً اذا اقامه من
الاموات » .

(انتهى خطاب الرسول بولس)

لا شك في ان بيان الرسول بولس قد سحر البابكم وبلاغته قد اثارت
فيكم الحماس وسمو افكاره رفعكم الى جو اعلى . لذا اخاف ان انقص
من حماسكم واهبط بكم من العلو الذي ارتفعتم اليه اذا حملت او فسرت
او شرحت هذا الخطاب . انما لابذل من توجيه افكاركم الى النقاط
الاتية :

ان فيلسوف النصرانية افتتح خطابه بالثناء على تدين الاثينائيين
فاكتسب اصفاؤهم ثم لفت انظارهم بكل لباقة وحذاقة الى الاله المجهول
الذي شادوا له هيكلًا خاصاً قائلاً : انه جاء ليعرفهم الى الاله الذي يعبدونه
وهم يجهلونه . وان هذا الاله لا يمكن ان يكون الا الاله الحقيقي المعلن عنه
في العهد القديم الموجود في كل مكان والخالق كل شيء . والمعني بكل ما
خلق . وبهذا الوصف للاله الحقيقي قد هاجم الخطيب فلسفة الايبيكوريين
الذين كانوا ينكرون العناية الالهية وفلسفة الرواقيين الذين كانوا يخلطون
بين الخالق والمخلوق .

ثم قال : ان الله خلق الناس من اب واحد وحدد لكل امة عمرها
وحُدود بلادها . وعين لكل انسان غاية من حياته وهي ان يطلب الله .

والله ليس بعيداً عنا لاننا به نحيا ونتحرك ومنه نستمد كياننا . فكأنه قال : ان البرهان على وجود الله هي اعمال الله فينا . وبما اننا ذرية الله لا يليق بنا ان نعتقد ان الله يشبه التماثيل المصنوعة من ذهب او فضة او حجر وهذه سهام سددها الى صميم الديانة الوثنية (اي عبادة الاصنام) فشمها تهشياً . وعبادة الاصنام هو المحور الذي بدور عليه الخطاب . واخيراً طمأن الوثنيين قائلًا : ان الله يتغاضى عن سني الجبل ويدعو جميع الناس على اختلاف اوطانهم ان يتوبوا لانه سرف يدين المسكونة باعدل بواسطة السيد المسيح الذي اختاره لهذه الغاية . واعطانا برهاناً على ذلك حادثة قيامته من الاموات

وهنا توقف الخطيب فجأة عن الكلام وتعكرو جو المكان الذي كان صافياً حتى الان واختلف السامعون فيما بينهم عند سماع كلمة (القيامة من الاموات) فالبعض صاروا يمزأون وهؤلاء هم الابييكوريون . وآخرون قالوا : سنسمع منك ايضاً عن هذا الموضوع وهؤلاء هم الرواقيون .

« وهكذا خرج بولس من وسطهم ولكن اناسا لحقوا به وآمنوا منهم هيونيديوس من اعضاء المجلس الاعلى واموأة اسمها دامرس وآخرون معها »

(اعمال ١٧ : ٣٣ - ٣٤)

لم يفت الفلاسفة اء جاء في كلام رسول الامم من فلسفة عميقة صورت الديانة المسيحية ديانة طبيعية ينتهي اليها الانسان مسترشداً بقلبه وعواطفه ولم يكن تعليم بولس عن وحدانية الله وعن تسلسل الناس من اصل واحد مناقضاً للفلسفة اليونانية ولكن آراءه في ما فوق الطبيعة كان من انصب على الوثنيين فهمها . اما الخطاب فهو أول تجربة للتوفيق بين المسيحية والفلسفة

ولترجمة الافكار اليهودية والمسيحية الى اللغة اليونانية .

وهو كذلك أول نموذج للدفاع عن العقائد المسيحية نسيج على منواله آباء الكنيسة فيما بعد بدفاعهم عن الايمان القويم ضد الملهم والفلسفة .

ويمكننا القول : ان مباني التوراة ومباني الفلسفة قد تصافحا على رابية « آريوس باغوس »

واخيراً دار الزمن دورته وانتصر بولس على الفلاسفة المستهزئين والمستغربين . فتحطمت تلك الاصنام ودالت دولتها . وتحولت تلك الهياكل الوثنية الى كنائس مسيحية تن في ارجائها اقوال بولس العسجدية وتتلى على المحشدين فيها رسائله الالهية .

هذه صورة مصغرة عن مدينة اثينا يوم امها بولس الرسول سنة ٥٤ مسيحية . وهذا تحليل موجز لخطابه في « آريوس باغوس » واننا كشرقيين نتأخذنا هزة الفخر والاعجاب برجل من ابنا بلادنا كالرسول بولس ففتح الغرب فتحاً روحياً وادى رسالته العلوية على وجهها الاكمل .



المريع الذي لا مجلس فيه

اذيعت من راديو الشرق في ٢٣ آذار سنة ١٩٤١

*

١

مياه البحر الابيض تتهاوس مع مياه البحر الاسود عند ملتقى انقارتين
آسيا واوروبا . والبوسفور يرغي ويزيد وامواجه المتلاطمة تقف سداً طبيعياً
منيعاً ويزنطية فوق لسان خليج القرن تتمخض بالتقاليد الفارسية واليونانية
فتلد مدينة جديدة : اسوارها الحصينة رسم حدودها الملك . وقصورها
البيضاء اقتطعت حجارته من رخام مرمرآ . وشوارعها المرصوفة احيطت
بالاروقة العالية والاعمدة المصقولة تزريدها شارات المسيحية الرمزية المنقوشة
رونقاً وجمالاً وساحاتها الواسعة . زدانة بأعجاد المسيحية : هنا صور مذهبة للملك
قسطنطين ولامه هيلان وللعامي الصالح ولانبي دانيال . وهناك علم مرصع
وفي زاوية العلم رسم الصليب وبينهما صليب ذهبي يحمل هذا العنوان :
« قدوس واحد رب واحد يسوع المسيح لمجد الله الأب » . وتماثيلها الفنية
فقلت اليها من آسيا ومصر واليونان ورومية . وكنائسها الاربع عشرة
حانية رأسها امام « اجيا سوفيا » المشادة على اسم « الكلمة » الذي صار
جسداً بيسوع . والبلاط الملكي يمتد من شاطي . البحر الى قلب المدينة . على
بابه رسم الملك قسطنطين يصلي . وفي قاعته الكبرى صليب مرصع بالحجارة

الكريمة فوق قاعدة ذهبية • والاعلام الرومانية ترفرف فوق البلاط والهرمان
وميدان السباق وتكنات الجيش • فكان روما نقلت من ضفة تيهير الى
ضفة البوسفور •

هوذا الجنود الرومانيين على جانبي الشارع المؤدي الى الكنيسة العظمى
رافعين حراهم • الموسيقى تعزف بانغامها الرومانية الشجية • والنساء على
الشرفات ينثرن على الامبراطور الروماني الزهور والطور • وهوذا الملك
قد اطل بموكبه محاطاً بمجالي لابهة والعظمة والجلال : على رأسه تاج موصع
بالحجارة الكريمة • وعلى منكبيه الطينسان (١) وفي يده الصولجان •
ها هو يدخل الكنيسة ويعتلي العرش فتلمع شخصيته البارزة : حباه الغرب
الذي ولد فيه جمالا جسدياً : قامه طويلة وجسماً ممتلئاً ووجهاً يفيضاً وعيينين
جذابتين وأنفا رومانيا • ونفحه الشرق الذي ترعرع فيه جمالا روحياً : خلقاً
كريماً حبيباً الى جنوده وقواده وذكاه مفرطاً صقلته المثل العليا التي تنشقها
من فضاء البحر المتوسط الذي نشأت على شواطئه اقدم المدنيات •

هوذا الكنيسة العظمى تحتفل اليوم بتدشين المدينة الجديدة التي بناها
الملك الروماني في بزنطية واتخذها عاصمة جديدة لامبراطورية وكرسها للعدراء
التي اتخذها شفيعاً وحامية لها •

وقد كان لهذا اليوم (١١ ايار سنة ٣٣٠) اثر بعيد في تاريخ الشرق
ان روما مهد التقاليد ومدينة الآلهة تخضع اليوم لمدينة العدراء • ومنذ اليوم

(١) وشاح من حرير احمر مطرز بالازهار يحير على الارض أذنيه •

ان تدعى هذه المدينة بزنطية لان الملك سماها « روما الجديدة » وقد بذل جهوداً جبارة ليطلق الاسم المسمى . ودعاها رجال الدولة باسم بانيتها « القسطنطينية » أما الشعب فاطلق عليها اسم « المدينة » ولا تزال تعرف بهذا الاسم الى اليوم اي « استانبول » . ودامت الاحتفالات بتدشين الناحية الجديدة مدة اربعين يوما .

وفي احد ايام العيد حمل افراد من الجند صورة الملك قسطنطين وساروا بها تتقدمهم الشموع الى ميدان السباق ووضعوها على منصة عالية واخذ الشعب يسجد لها . لم يكن سجود الشعب للصورة بل للملك . ولبس لشخصه بل الاعمال الباهرة التي اسداها للمسيحية . فبعد ان كان المسيحيون على عهد القياصرة السابقين يعتبرون خونة ومجرمين ، شرف قسطنطين قدرهم ورفعهم الى اعلى الوظائف واعلن المسيحية ديانة الدولة الرسمية فتهاقت الوثنيون على اعتناقها « والناس على دين ملوكهم » . وبعد ان كانوا يؤدون قروض عبادتهم في الدياميس (١) شاد لهم الكنائس الفخمة .

ان بولس الرسول نشر الديانة المسيحية بقوة يمانه ولسانه . أما الملك قسطنطين فنشرها بقوة نفوذه وسلطانته . لذلك رفعت الكنيسة الى درجة الرسل القديسين . واذا كان قسطنطين وجد في الدين المسيحي القوة الهائلة التي اعطت حياة جديدة لملكته ، فان المسيحية وجدت في شخصه النصير الاكبر .

(٢)

مرت السنون مر السحاب وانقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين

(١) السراييب

عربي يتعلق برومية • وشرقي يتعلق بالقسطنطينية (٣٩٥) • وبلغت مدينة
العدراء أوج مجدها وعزها • ولمع فيها ملوك عظام ورؤساء كهنة حكماء
الى ان جاء عهد الملك هرقل (٦١٠ - ٦٤٦) • وكان هذا الملك يجمع في
شخصه بين الفيرة الدينية والحكمة الحربية ويؤمن بقوة العدراء ويحمل
ايقونتها معه في الحروب وكان متفقاً مع البطريك حتى انه اناذبه عنه اثناء غيابه
وقد جاهد هرقل ست سنوات حتى كسر شوكة الفرس • وبينما هو في
ساحة الحرب هجم الافاريون حلفاء الفرس على المدينة وحاصروها من جهتي
البحر والبر فاستولى على الشعب خوف عظيم •

عندئذ اسرع البطريك (سرجوس) بالاتفاق مع القائد (فونوس)
لاتخاذ التدابير وانقاذ المدينة • اما القائد فجمع القوة الباقية • من الجيش
وسلح الحرس والمدنيين • واما البطريك فجمع الاكليروس والشعب في
كنيسة « اجيا صوفيا » حيث انشدوا المديح للعدراء وطلبوا اليها ان تنقذ
مدينتها من الاعداء • ثم خطب فيهم البطريك ودعاهم للاتحاد تحت لواء
العدراء شفيعة المدينة فاثار في قلوبهم المضطربة الشجاعة والحماس • وعلى الاثر
خرجوا حاملين خشبة الصليب وايقونات السيد المسيح والدته العدراء
والاواني الكنسية المقدسة وطافوا المدينة داخل اسوارها • بينما كان
الجيش يدافع عنها بقوة السلاح • فوصلت اصوات النساء والاطفال وصلوات
الاكليروس وتضرعات الشعب الى عنان السماء • ودب الحماس في الجيش
واندفع على قلة عدده يرد هجمات العدو بقوة فائقة • واذ رأى الاعداء اتحاد
الشعب القسطنطيني واستعداده للذود عن مدينته با زواح خلافاً لما كانوا

يعتقدون أدر كوا ان شعباً . متضامنا هذا التضامن لا يغلب فتر كوا المدينة وانصرفوا
وبعد رفع الحصار وزوال الخطر اجتمع الاكليروس والشعب في الكنيسة
المقامة على اسم العذراء في محلة « فلاخارنيس » ورتلوا المديح للعذراء وهم وقوف
وأضافوا اليه النشيد المعروف بالقنداق « اني انا مدينتك يا والدة الاله » .
في هذا النشيد تعرب المدينة عن شكرها للعذراء التي انقذتها من المحنة
ثم تلتبس ان تقبها من كل الاخطار .

وكان ذلك يوم الجمعة من الاسبوع الخامس من الصوم الاربعيني المقدس .
وقد سمي « المديح الذي لا يجلس فيه » لانهم انشدوه وهم وقوف . وهو
المعروف عندنا بخدمة « المدائح » .

اما موضوع هذه المدائح فهو مزدوج : بشارة العذراء او تجسد المخلص .
وبعد ٣٦ سنة حاصر الهاجريون المدينة ودافع عنها شعبها بمساعدة نصيرتها
العذراء .

وعلى عهد الملك لاون (٨٦٠) كور الهاجريون هجومهم وهذه المرة
انقذت العذراء مدينتها ايضاً .

ولكن القسطنطينيين كلما انصرف الاعداء وزال الخطر عنهم انصرفوا
الى لهوهم وزهوهم غير ذاكرين الله في حركاتهم وسكناتهم (اللهم الا
في افواههم) الى ان تحلى الله عنهم وسقطت مدينتهم في يد محمد الفاتح سنة
١٤٥٣ .

اجل . دالت الدولة البرنطية ولكن اثار مدينتها ما زالت بارزة في

كنائسنا وطقوسنا وقوانيننا الكنسية وفنوننا الجميلة . فكأننا نعيش في جو
برنطي ونبشع هوا . برنطيا

ايها المواطنون الكرام :

لقد اخذنا عن البرنطيين « المديح الذي لا يجلس فيه » فلناخذ عنهم حبهم
لمدينتهم وتقائهم في الدفاع عنها . واذا كانت القسطنطينية دعيت مدينة
العذراء لانها وضعت تحت حمايتها يوم قدسيتها فان وطننا وطن العذراء لانها
فيه ولدت ونشأت وعاشت وفي هذه الايام المماثلة لتلك الايام التي نظم
فيها « المديح الذي لا يجلس فيه » يجدر بنا ان ننشد بلسان وطننا : « اني
انا وطنك يا عذراء ارفع لك علم الاعجاب يا مرشدة حكيمة وبما انك
شفاعة عند الله اتقديني من الاخطار المداهمة حتى اهتف اليك افرحي يا
عروسة لا عروس لها »



اسباب الكفر

اذيعت من راديو الشرق في ٢٨ ايلول سنة ١٩٦١

*

الكفر ضد الايمان . وقد اجاد جامع المعجم بقوله : « الكفر (بالضم) من الكفر (بالفتح) لانه ستر الحق » . فالدين هو الحق وما تتضمن هذه الكلمة من مبادي سامية واخلاق عالية واعمال صالحة . والايمان هو عاطفة فطرية في الانسان بها يشعر بوجود الله في عالمي الروح و المادة . وقد عرفه الرسول بولس بقوله : « هو الايقان بامور لا ترى » (عبرانيين ١١ : ١) . الايمان هو السراط المستقيم الذي نهجه الانسان منذ نشأته مسترشداً بقلبه وفطرته . اما الكفر فهو انحراف عن السراط وضلال عن الهدى . الايمان والكفر نقيضان وما بينهما الشك .

قال احد الفلاسفة : « الشك هو الرواق الموصل الى هيكل الحكمة والرجل الحكيم لا ينكر صحة قضية ما لمجرد عدم ادراكه اياها وانما يضعها تحت البحث ويتجرى في دروسه الحجة والبرهان .

نعم ان الاستسلام لملاذ الدنيا عملاً بفلسفة الابيكتوريين القائلة « لنا كل موثرب فأننا غداً نموت » يسهل للكفر الطريق الى عقول الناس . ووجود

عدد من الكفار في الدنيا يهون الكفر على كثيرين . والعموض في شرح
العقائد الدينية يتخذ حجة لدى الشاكين . ولكن هذه كلها ليست اسباباً
اساسية للكفر . لان معالجتها لا تستلزم كثيراً من العناء . فالخطايطي . يحمل
على التوبة بالوعظ والارشاد . والمتشبه بالكفرة ينصح ليقتدي بالمؤمنين ،
وعدد هؤلاء لا يقل عن اولئك . والشاك يقتنع بالحجة والبرهان . وانما
هناك اسباب اخرى اساسية تستدعي مداواتها الكثير من الجهد والاهتمام .
واليكم بعضها :

السبب الاول - جهل الحقائق الدينية على وجهها الصحيح .

ان كثيرين من الشاكين والكافرين نفروا من الدين لانهم يحملون حقائقه
او يعتقدون انه مظاهر خارجية فقط . فلو اوضحنا لهؤلاء كنه الدين والغاية
من الطقوس والرتيبات لاصبحوا من اشد الناس تدنياً .

وبعض المدارس تملأ ادمغة تلامذتها بالنظريات العلمية المتناقضة وتهمل
نلقينهم العلوم الدينية فينشأوا كفاراً . على ان بعضهم يكتف كفرة ويقطع
كل صلة مع الدين . والبعض الآخر يعلن كفرة ويحمل على المعتقدات
الدينية حملة شعواء .

والسبب الثاني - العلم الناقص :

ان من يطلب العلم في المدارس الابتدائية فقط تبهر بصره الضعيف
انوار العلوم الحديثة فيتوهم ان كل ما لا يسعه عقله الصغير هو غير صحيح
حتى انه اذا حفظ العلوم الطبيعية خال نفسه قد اكتشف سر التكوين .

هذا هو العلم الناقص الذي يبعد عن الله . اما العلم الكامل فإنه يقرب الى الله . لان من يتوغل في درس طبيعة الكائنات يقف عند حد يدرك فيه ان هذه المخلوقات لم توجد صدفة .

اما السبب الثالث - فهو عدم التناسب بين حياة الانسان الصالح المملوءة بالمعائب والاحزان وحياة الشرير المشبعة بالخيوات والمسرات . وقد اتخذ الفيلسوف « كانت » عدم التناسب هذا برهاناً على وجود الله فقال : « ان العدل يقضي بأن يعيش المرء الصالح سعيداً والشرير تاعساً وبما ان هذا الامر لا يتحقق في هذه الحياة فالمنطق يقضي بأن توجد حياة اخرى يتم فيها هذا التناسب وقاض عادل يحكمم بذلك وهو الله » .

والسبب الرابع والاخير - عدم تطبيق المؤمنين اعمالهم على وصايا الدين : ان هذه الظاهرة تدخل الكفر على عقول البعض فيهربون انفسهم بادعائهم ان المؤمنين لو كانوا على حق في ايمانهم لما خالفوا وصايا دينهم بأعمالهم !

فتجاه هذه الحالة يجب علينا نحن المؤمنين ان نطبق اعمالنا على وصايا الله لئلا يقال « اننا نحمل الناس احمالاً ثقيلة ولا نزيد ان نحر كعباً باصابعنا » (متى ٢٣ : ٤) وان ننشر الحقائق الدينية على وجهها الصحيح مميّزين بين العرض منها والجوهر . وان نفهم الاخرين ان الدين ليس طقوساً وترتيبات فحسب ، بل هو اخلاق عالية ومبادئ شريفة واعمال صالحة لا غنى للمرء عنها حتى يصح ان يسمى انساناً .

الحق والواجب

اذيعت من راديو الشرق في ١٢ ت ٢ سنة ١٩٦١
ونشرت في مجلة « الراعي الصالح »
عدد ١٥ نوفمبر سنة ١٩٦٢

*

تبحث العلوم الدينية في امرين : العقائد والاخلاق . ويبحث الاخلاق
علمان : الفلسفة واللاهوت . اما الفلسفة فتعتبر الاخلاق صادرة عن الناموس
الطبيعي . واما اللاهوت فيعتبرها صادرة عن الناموس الالهي . وبعبارة اخرى
الاخلاق في نظر الفلسفة تنبعث من الضمير والمنطق . وفي نظر اللاهوت
تنبعث من الوحي الالهي الذي يرشد المرء الى طريق الحق والواجب . وبما
ان راحة الضمير التي هي اساس سعادة الانسان في هذه الحياة تتوقف على
تمتعه بحقوقه وقيامه بواجباته ، فموضوع (الحق والواجب) يعد من اهم
المواضيع التي يعالجها الكتاب والمحدثون .

الحق هو ما نحولنا فعله الناموس ، بل هو كل ما يجوز لنا ان نعمله او ان
نطلب من الغير عمله بموجب ناموس ما .

الحق يصدر من طبيعة الانسان فتعينه الحاجة او الضرورة والعلاقات
القائمة مع الغير ثم تقره الاحكام الاجتماعية والسياسية . بل هو مجموع

السنن التي سنّها شعب ما لحفظ كيانه واستتباب السلام بين افراده والعادات التي اكتسبت صفة القوانين .

يختلف الحق عن الفضيلة في كونه يفرض على الناس فرضاً . اما الفضيلة فتترك لارادتهم . ومن اللازم ان يقرن الحق بالفضيلة لتصلح الحياة الاجتماعية وحيث لا يجتمع الحق والفضيلة ، هناك الفوضى والخروج على النظم والعادات . والحقوق اما طبيعية واما مكتسبة . فالاولى تنفجنا بها الطبيعة مثل حق الدفاع عن النفس . والثانية تنشأ عن الروابط التي نعقدها مع الغير وهذه اما معينة وهي ما تؤيدها الشرائع المدنية مثلاً : اذا انتزع احد ثروتي مني فان المحاكم المدنية ترد حقي الي . واما غير معينة وهي ما تترك لحرية الارادة مثلاً : يحق لي ان اطلب من جميع الناس الاستماع الى احاديثي ولكن لا أستطيع ان اجبر احداً على ذلك لان السلطة المدنية لا تجبر الناس الا على احترام الحقوق المعينة .

اما الواجب فهو ما يفرضه علينا الناموس . بل هو كل ما يجب علي فعله نحو نفسي ونحو غيري وفقاً لناموس ما . وكما ان الناموس يفرض علي واجبات نحو الآخرين هكذا يفرض علي الآخرين واجبات بماثلة نحوى . والواجبات بالنسبة الي من يقوم بها اما عامة او خاصة : فالعامة هي المفروضة على كل انسان مثل الوفاء بالعهود . والخاصة هي المفروضة على بعض الناس مثل واجبات العضو في جمعية ما . واما بالنسبة الى الغاية التي ترمي اليها فهي : اما واجبات عدالة او واجبات انسانية : الاولى تنهي عن الظلم ويجبر عليها القانون . والثانية تفرض الاحسان الى الغير وتترك

للضمير لان الاحسان اذا اجبرنا عليه لا يكون احساناً ! وبأقسام الواجبات
المتروكة لحرية الارادة يتميز المرء الصالح لان الطالحين يقومون بواجباتهم
خوفاً من العقوبات . والسيد المسيح عندما وصف الدينونة العامة لم يقل ان
الذين لم يظلموا الناس سيثرون الملك السماوي بل الذين اطعموا الجياع وسقوا
العطاش وآووا الغرباء وكسوا العراة وعادوا المرضى والمسيجونين (متى ٢٥
٣١ - ٤٦) .

قلنا ان الحق ما نحولنا فعله الناموس . والواجب هو ما يفرضه علينا
الناموس . فألحق هو الواجب اذا نظرنا اليه من جهة الشخص الاخر . مثلاً
علي ان احترم ثروة الغير فللغير اذا الحق ان يطلب مني احترام ثروته .
الحق والواجب متمسكان فلا حق حيث لا واجب ولا واجب حيث
لا حق . والحقوق التي لكل انسان فيما يتعلق بحياته وشرفه وثروته وحرية
يقابلها واجباته نحو حياة الغير وشرفه وثروته وحرية . فاذا عرف
الانسان واجباته ، استطاع ان يعرف الحق الذي يقابله .
ومن الضروري ان نميز بين الحقوق التي لنا والواجبات التي علينا وان نفضل
واجباتنا على آخر ، لان الواجبات ليست في منزلة واحدة . وهذا امر ظاهر لا
يحتاج الى ايضاح . وهل يوجد من لا يعرف ان اطعام جائع أهم من زيارة
غني عائد من سفر ؟

وليس بالمستطاع تقدير أهمية الواجبات قبل الوصول اليها لان ذلك
يتوقف على الغاية التي ترمي اليها وعلى اسبابها والعلاقات القائمة فيما بينها .
اما اذا عرفنا الغاية والاسباب سهل علينا معرفة الالهم منها وتفضيله على غيره
فالواجبات العامة مثلاً أهم من الخاصة . والاصلية أهم من الفرعية . والطبيعية

أهم من الوضعية .

وقد دفعت صعوبة تقدير أهمية الواجبات والتفضيل بينها بعض علماء
ملاخلاق الى تقرير نظرية تنازع الواجبات او تعارضها . اما اذا فارى ان لا
تنازع ولا تعارض بين الواجبات التي يوحى بها التاموس . لانه اذا تراكت
علينا واجبات كثيرة وتعذر القيام بها جميعا يجب ان نقدر اهمية كل واجب
منها ونفضل الالهم منها على غيره .

واذا لم نوفق الى معرفة الالهم وحصل التنازع بين الواجبات يكون جهلنا
السبب . وفي مثل هذه الحالة يقتضي الاصغاء الى صوت الضمير الحي فهو
كفيل باخراجنا من المأزق الحرج . جاء في الانجيل المقدس ان « يسوع دخل
المجمع يوم السبت واذا انسان يده يابسة تقدم اليه وطلب الشفاء فسألوا
يسوع قائلين : هل يحل الابرأ في السبت ؟ فقال لهم : اي افسان منكم
يكون له خروف واحد فان سقط هذا في حفرة أفما يسكه ويقيمه ؟ اذا
يحل فعل الخير في السبت » (متى ١٢ : ٩)

الحق والواجب كفتا . ميزان لا يستقيم العدل الا بحفظ التوازن بينها .
وعلى المرء ان يطالب بحقوقه كما عليه ان يقوم بواجباته . وانما هناك احوال
يحسن فيها ان يضحي المرء بحقوقه فدى خير أعظم !

بماذا اشبه الحق والواجب ؟

اني اشبهها بسجل تجاري ذي صفحتين : صفحة (من) و صفحة (الى)
فمن الناس من يكون مقدار المطلوب منه اكثر من مقدار المطلوب له وعلى

العكس . ولكن فلنعلم ان الالدة التي يشعر بها من يتمتع بكل حقوقه ولا يقوم بواجباته ليست اعظم من الالدة التي يشعر بها من يقوم بكل واجباته ولا يحصل على حقوقه .

وبما ان الحقوق والواجبات هي دينية ومدنية ، وبما ان الحكومة تحافظ على الحقوق المعينة فقط ولا تجبر احداً على ممارسة الفضيلة ، فعلى رجال الدين ان يتعاونوا مع رجال الدولة على صيانة أخلاق الشعب ، لان الهدف الذي يرمي اليه الفريقان واحد الا وهو اسعاد المجموع . وكما ان على رجال الدين والدولة ان يقوموا بواجباتهم نحو الشعب ، هكذا على افراد الشعب ان يطيعوا القوانين الدينية والمدنية ليستقيم ميزان العدل ويعم الصلاح العالم .

* * *

اول كانون الثاني

اذيعت من راديو الشرق في ٤ ك ٢ سنة ١٩٤٢
ونشر القسم الاول منها في مجلة (الارثوذكسية)
عدد كانون الثاني سنة ١٩٤٣

(١)

كانت السنة في روما القديمة تبتدي . في اول كانون الثاني الذي يسمونه
(يناير) اكراماً للاله « ابانوس » . ومنذ القرن الثالث بعد المسيح اعتبر

من اعظم اعياد الدولة الرومانية : وكانوا يحتفلون به احتفالا مهيبا ويتزينون فيه بازياء غريبة ويلعبون العابا لمعروفة الحظ ويقدمون الذبائح . وقد حمل آباء الكنيسة على هذه المظاهر الخلاعية حملات شعواء وانتقدوها انتقادات مرة معتبرين اياها خروجاً على الاداب والاخلاق المسيحية . وسموا اول يناير يوم الشيطان . يقول الذهبي الفهم ما معناه : « ان الالعاب الشيطانية والرقص والسهر والتمثيل الهزلي وما شاكلها قد سببت مدينة اقطاعية سبباً اشد من سبي الاعداء » والمجمع المسكوفي الخامس - السادس امر المسيحيين بالامتناع عن هذه العادات في احتفالات اول يناير . ولكن هذا كله لم يبطل تلك العادات لاسيما واول يناير كان عيداً زمنياً .

وفي القرن العاشر تحت تأثير العيد الوثني القديم ألبس بعض الاكليروس في فرنسا اول يناير ثوبا مسيحياً فاطلقوا عليه « عيد المبتدئين بالرهبة » وكان فيه المبتدئون يرتدون ملابس غريبة وينتخبون انتخاباً تمثيلاً اسقفياً يسرون به بموكب حافل الى الكنيسة حيث كانوا يقرأون فصلاً من الكتاب المقدس ويروون بعض القصص وينشدون اناشيد علمانية .

وكان رجال الاكليروس الكبار يدخلون الكنائس في هذا العيد بملابس نسائية او بجلود الحيوانات ويظهرون بمظاهر مضحكة حتى ان كارلوس السابع سنة ١٥٤٥ اصدر امراً وضع به حداً لمثل هذه المهازيل .

واخيراً نشأت في الغرب عادة ان يقف الواعظ على منبر الكنيسة ويوجه دعاء خاصاً الى كل من الحاضرين بمناسبة السنة الجديدة . ومع ذلك لم تعتبر الكنيسة اول يناير ابتداء السنة . ففي جرمانيا كانت السنة تبتدي من

عيد البشارة (٢٥ آذار) وفي هولندا وفرنسا من عيد الفصح المقدس وفي
الدولة البرنطية من اول شهر ايلول . ومنذ القرن السادس عشر فقط اعتبر
اول يناير ابتداء السنة في فرنسا وجرمانيا اما في روسيا ففي القرن السابع
عشر . . وفي إنجلترا بعد سنة ١٧٥٠ . وحتى اليوم تبتدي السنة الكنسية
عندنا في اول ايلول الذي يدعى ابتداء الانديكتي اي ابتداء السنة الجديدة .
اما العادات التي لا يزال الناس يحافظون عليها في اول يناير فهي من
بقايا العيد الوثني القديم كالالعاب لمعرفة الحظ التي ذكرها الخطيب الشهير
ليفانيوس وتبادل الهدايا كانت تقدم من ورق الغار ثم من الماكل الطيبة واخيراً
من اوان فنية وصل اليها منها اوان منقوش عليها هذه العبارة « لتكن السنة
الجديدة سعيدة عليك » . وهذه العادة اثارة غضب اباء الكنيسة فدعوها
هدايا شيطانية . وجمع اوكسير سنة ١٥٧٣ في القانون الاول من قوانينه
حرم على المؤمنين تبادل الهدايا حتى لا ينفق المال جزافاً . ولم تبطل اوامر
الكنيسة عادة ارتداء الثياب الهزلية حتى ان كاتب سيرة القديس ذاسيوس
يقول : ان المدعوين مسيحيين يتبعون عادات اليونان في الاحتفال بعيد اول
يناير فيبدلون شكلهم الانساني بشكل شيطاني مرتدين مرتدين جلود معزي
وتناسوا انهم في سر المعمودية المقدس قد رفضوا الشيطان فعادوا يتجنّدون له
بأعمالهم المخجلة »

والى يومنا هذا في بلاد اليونان يظهرون بملابس سخريّة في عيد اول
يناير ومدته عندهم من الميلاد الى الغطاس ويطلقون عليه اسم « كاندا » اي اول
يناير . وفيه يطوف الاولاد على البيوت وينشدون اناشيد خاصة . وفي اثينا
(كما في بلادنا) يسهرون ليلة اول السنة حتى الساعة الثامنة عشرة وعندها

يطفئون الانوار برهة ثم يشعلونها ويتصافحون مهنيين بعضهم بعضاً بالعام الجديد .
وفي هذه الليلة يضعون قطعة من النقود في قالب من الخلو ويقسمونه ومن
تصبيه قطعة النقود يكون صاحب الحظ الكبير . وهذه العادة هي من عهد
البرنطيين .

وتعيد الكنيسة في اول يناير لختانة السيد المسيح التي بها دعي اسمه
« يسوع » بعد ولادته بثمانية ايام وذلك منذ القرن السابع وفي اليوم نفسه
تقيم تذكار القديس باسيليوس الكبير اسقف قيصرية .

(٢)

لقد ودعتم عاماً واستقبلتم آخر فكيف قضيت ليلة العام الجديد؟ البعض باللاعب
والسهر . والبعض بالرقص وغيرهم بشرب الخمر وآخرون بالنوم . انتم
تعتقدون ان من يربح باللاعب ليلة العام الجديد سيربح كل السنة ومن يخسر
تلك الليلة سيخسر كل السنة . فكيف يربح او يخسر من لا يلعب ؟ اذاً
انتم تعتقدون ان من يلعب ليلة العام الجديد سيلعب طيلة حياته وانا اعتقد
ان كلا منكم سيقضي الليالي كلها كما قضى ليلة اول العام . فالذين لعبوا
في تلك الليلة سيلعبون كل الليالي واذا كانوا لن يلعبوا بالورق فسيلعبون
بوعودهم مع الناس . ومن سهروا تلك الليلة سيسهرون الليالي كلها واذا
لم يكن سهرأ جسدياً فسهرأ روحياً اما على مصالح الناس ومصالحهم ولما
على احاكة الدسائس وتدبير اساليب الاخذ بالثأر والانتقام . ومن سكروا
تلك الليلة سيسكرون الليالي كلها واذا لم يكن نجمة الكرمه فنجمة
الغرور ومحبة الذات . اما من نام تلك الليلة فسينام كل الليالي واذا لم

يكن طبيعيا فنوم الثقة والطمانينة .

ولماذا لا يكون الامر كذلك ؟ ليست ليلة العيد فرصة تظهر فيها نزعة كل منا ؟ ايلعب ليلة العيد من يتقن اللعب ؟ ايسهر من لم يعتد السهر ايرقص من لا يعرف الرقص ؟ ايشرب من لم يذق طعم الخمرة ؟

انا لا اقول ان البكاء اولى بنا في ليلة العام الجديد لانه انصرم عقد من عمرنا واقتربنا من القبر ، وانما اقول اني ارى اسبابا كثيرة للبكاء . . . ان التجار في آخر السنة يرصدون حساباتهم ليعرفوا ما لهم وما عليهم فجدير بالعقل ان يتشبه بهم وان يراجع مذكراته ليعرف ما له وما عليه وان يتخذ اول العام يوم محاسبة ومحكمة مع نفسه .

واني لا تصور عائلة المستقبل وقد ارتدى افرادها ثيابهم الوطنية الجديدة يجتمعون في ليلة العام الجديد حول مائدة ليس عليها غير المأكّل الوطنية ترينها ازهار اقتطعت من بستان البيت وقد فتح رب العائلة سجلا تلافيه علناً تاريخ العائلة وسيرة حياة كل عضو منها . ووجه الى كل عضو من الحاضرين امثال هذه الاسئلة : كيف كنا السنة الماضية ؟ هل تقدمنا ؟ ولماذا ؟ هل تأخرنا ولماذا ؟

بمثل هذا التفكير المفيد يجب ان تستقبل العام الجديد . لان المستقبل علاقة بالماضي . وعلى كل منا ان يوذي رسالته في الحياة . ولا يتوفر له ذلك الا اذا دقق في ماضيه وبنى على الاسس الصحيحة منه حاضره ومستقبله .

ومسا كلمة مدنية وقدن الانشؤ الانسانية وارتقاؤها نحو حياة

سعيدة تستند الى رقي روحي وخلقى . وما السمادة الا ثرة تفكير صحيح
ومحاسبة الانسان لنفسه . وما السنوات الا محطات على الطريق التي تنهجها
البشرية السائرة الى مثلها الاعلى .

*

باسيليوس الكبير

اذيعت من راديو الشرق
في ١١ ك ٢ سنة ١٩٦٢

قال زعيم الفلسفة الوضعية الفيلسوف الفرنسي « اوجيست كونت »
« ينبغي ان يولف تقويم سيرة النوابع من الناس الذين امتازوا
بفضائلهم لتكون حياة كل منهم درساً يومياً للمطالعين » ومن اتيح له ان
يتصفح سيرة النوابع وان يعجب بارادتهم الحديدية وعزمهم وحزمهم وجراتهم
وماشابه ذلك من المزايا العالية ، يدرك اهمية اقتراح اوجيست كونت .
وحتى اليوم لم نسمع بوجود هذا التقويم .

وكل منا يعلم ان في الانسان ميلاً فطرياً لتقليد ما يرى وما يسمع
وان هذا الميل يكون قوياً في ايام الصبا .
فدرس الشخصيات البارزة يدفع بالناس عامة وبالشبان خاصة الى تقليدها

وتقليدها يرفع النفس الى المثل العليا التي عاش لاجلها اوائك الرجال العظام .
وعليه رأيت ان اعرض على مستمعي الكرام صوراً لبعض الشخصيات
البارزة في الكنيسة مبتدئاً في الكلام عن باسيليوس الكبير . لعل في
الاصغاء اليها وفي تفهمها عظة ودرساً .

ولد باسيليوس في قيصرية الكابدوك من اعمال آسيا الصغرى فأخذ عن
والدته « آماليا » مبادي الفضيلة التي رافقته طيلة حياته . وتلقن العلوم في
قيصرية والاستانة وأثينا . ففي قيصرية تعرف الى غريغوريوس التريزي .
ثم التقى به في أثينا حيث تمكنت بينهما اواصر الصداقة لان في صدري الاثنین
كانت تجيش آمال كبار واحدة و كانا يتطلعان الى مثل عليا واحدة ويرميان
الى اهداف شريفة واحدة ، الا وهي ان يكونا صبية العلوم اليونانية وان يستخدمها
لنشر مبادي الانجيل السامية . ولقد حصل كل ما كان يدرس في مدينة
الحكمة من العلوم وبرعا في ذلك حتى ان الوثنيين طلبوا اليهما ان يقيميا في أثينا
ليدرسا علم الخطابة ولكن شعورهما بالواجب المقدس نحو الكنيسة والوطن
حال دون اجابة هذا الطلب .

وعندما عاد باسيليوس الى وطنه قام برحلة الى سوريا وفلسطين ومصر
وتعرف عن كثب الى النساك الذين كانوا يارسون عيشة تشبه حياة الفلاسفة
الرواقين القدماء . والفلاسفة الافلاطونيين الحداثيين المعاصرين لهم . ونظراً
لوجه الشبه بين النساك والفلاسفة من هذه الجهة دعى النساك الفلاسفة العليا .
ثم زار موطن ابيه القديم « بوندوس » حيث كانت لعائلته املاك في ارض
برية وحيث كانت أمه وشقيقته « ماكريني » ناسكتين . ففضى الي قريتهما

مدة غير قصيرة منكبا (مع صديقه غريغوريوس) على درس اللاهوت الذي اكمل به ثقافتها العالية . وكان علم اللاهوت عبارة عن درس الكتاب المقدس بالاستناد الى تفاسير الابرار الاقدمين . وقد احبا منها مؤلفات الاب الاسكندردي « اوريجانس » حتى انهما جمعا من تفاسيره مجموعة خاصة .

وبعد ان اكتملت ثقافة باسيليوس بدأ جهاده في سبيل الكنيسة التي كرس نفسه لخدمتها . فسنة ٣٦٤ بناء على طلب الاسقف « آفسافيوس » سيم كاهناً في قيصرية . فذاع صيته كرجل علم وفضيلة . واقبل شعب قيصرية على الاستماع الى عظاته التي كانت حديث القوم في مجتمعاتهم . فحركات هذه الشهرة عوامل الحسد في قلب « آفسافيوس » واضطر باسيليوس الى ان يغادر قيصرية ويعود الى بريته المحبوبة حيث استأنف حياة الزهد والمطاعة . ولكن الاسقف عاد فاستدعاه اليه وعندما رأى ان أتباع « آريوس » قويتم شوكتهم وتمكنوا في بعض الابراشيات بموازرة الامبراطور من خلع الاساقفة الارثوذكس واقامة الاريوسيين في مراكزهم فلبى باسيليوس نداء الواجب نحو الكنيسة اذ رأى الخطر محدقا بها وساعد الاسقف في جهاده ضد الهرطقة مساعدة فعالة .

وعندما ارتقى السدة الاسقفية خلفاً لآفسافيوس سنة ٣٧٠ واصل جهاده ضد الاريوسيين فأستطاع باوعظ من على المنبر وبالمراسلة مع اساقفه آسيا الصغرى والشرق عامة ان يدحر الهرطقة وان يؤيد العقيدة الارثوذكسية .

وقد جوب الامبراطور « اواليس » ان يستميل باسيليوس الى معتقد آريوس ولكنه لم ينجح نظراً لصلابته في عقيدته وثباته على مبداه . واليككم بعض

الحديث الذي دار بين باسيليوس ورسول الامبراطور « موذاستوس » : قال
موذاستوس : لماذا لاتعتقد عقيدة الامبراطور ؟

اجاب باسيليوس : لاني لا اعبد مخلوقاً . موذاستوس : الاتخاف غضب
الامبراطور وبطشه ؟
باسيليوس : ولم الخوف ؟

موذاستوس : ان الامبراطور يستطيع ان ينتزع منك ثروتك وان
ينفك وان يأمر بتعذيبك واخيراً ان يمتك .

باسيليوس : هددني بغير هذه فهذه لا تخيفني : الخفاف انتزاع الثروة
من لا يملك غير ثياب رثة وبعض الكتب ؟ وهل يخشى النفي من يدرك ان
الانسان غريب على الارض اينما وجد ؟ وهل يشعر بالعذاب جسم يندك
لاول صدمة ؟ واخيراً ايهاب الموت من يرى فيه اتحاداً بالله ؟ اننا ودعاء مع
كل الناس وخصوصاً مع الامبراطور اما فيما يتعلق بوصايا الله فلا نخشى احداً .
فدهش موذاستوس مما سمع وقال : لم ار اسقفاً اجراً منك في الدفاع
عن عقيدته . اجاب باسيليوس : اذا لم تر اسقفاً حقيقياً للكنيسة . . .

ولم تلمع فضيلة باسيليوس بدفاعه عن العقيدة القوية فحسب بل في ادارة
ابرشيته كراع صالح . فكان يعظ رعيته دائماً وهو اول من استخدم قواعد
الخطابة اليونانية في الوعظ الكنسي . وقد حملت عظاته البليغة كثيرين من
الوثنيين على اعتناق المسيحية وكثيرين من المراطقة على الرجوع الى الخطيئة .
وهناك ناحية اخرى من نواحي حياته لا تقل اهمية عما تقدم ، هي اهتمامه

بالفقراء والاعمال الخيرية .

ان الدين المسيحي الذي يلخص بكلمة (المحبة) اوجب على المؤمنين عمل الخير وكان المسيحيون الاولون (على ما جاء في كتاب اعمال الرسل) يعيشون حياة مشرقة تقريباً ، فلم يكن احدهم يستأثر بمكمله الخاص بل يضعه تحت تصرف المجموع . ولاجل هذه الغاية تشكل على عهد الرسل صندوق عام .

وفي القرون الاولى للمسيحية كان الشمامسة والشمامسات يجمعون الاحسانات ويوزعونها على المحتاجين . وكانت الكنائس تشتري الاسرى وتحرر العبيد باموالها . والاساقفة يبنون الملاهي . والمياثم والمستشفيات في دور الكنائس الكاثدرائية ويبيعون احياناً من البستهم الخاصة ومن اواني الكنيسة الثمينة لينفقوا على الفقراء . وكانت اعمال المسيحيين الخيرية تشمل الوثنيين واليهود .

ويذكر التاريخ ان في القرن الثالث عم وباء في الاسكندرية فهرب الوثنيون من بيوتهم خوفاً من العدوى . اما المسيحيون فزجوا بأنفسهم في الخطر للمآسة المرضى من غير مذهبهم وكثيرون منهم ماتوا وهم يقومون بهذه المآسة .

ولم تحل مدينة من المؤسسات الخيرية المسيحية التي هي شهود على ان الدين المسيحي يوصي بالمحبة وعمل الخير نحو جميع الناس .

وكان الكنائس على عهد باسيلوس اوقاف خاصة يعيش من ايرادها

الكليروس وينفق منها على الاملاك ويصرف الباقي في سبيل المشاريع الخيرية .
وفي هذا الميدان قد فاق باسيليوس اقوانه . فعندما الم بشعبه وباء . فتح
باب مطوانيته على مصراعيه وآوى المئات من المحتاجين واطعمهم على مائدته
وقد بنى في قيصرية مذبجاً اشتهر باسمه « باسيلياداً » وكان فسيحاً حتي
قيل عنه انه مدينة ضمن المدينة . وارصد له معظم ايرادات
الابرشية .

وان انس لا انسى عفة باسيليوس التامة فكان يقضي ايامه بالصوم
والتقشف والصلاة والمطاعة والتأليف . كان يعيش لله وللكنيسة والعلم .
كان ناسكاً من اشد الناسك ، ورئيس كهنة من خيرة الرؤساء ، وعالمًا
من اعظم العلماء .

وقد وصل اليه من ثمار علمه مؤلفات عديدة تثبت انه كان متضلعا من
اداب اللغة اليونانية وخطيباً مفوها ومتعمقا في تفسير الكتب المقدسة وفهم
العقائد المسيحية . وفي دراساته يوفق بين الفلسفة اليونانية والتعاليم المسيحية
وكثيرا ما يستشهد بالفلاسفة اليونانيين ويقتفي خطى الفيلسوف الافلاطوني
الحديث « بلوتينوس »

ومن مؤلفاته : « فصائح للشبان » الذي وجهه الى افراد الشبيبة
المسيحية الذين يدرسون في المدارس الوثنية . وفيه ينصح لهم ان يطالعوا
الفلاسفة القدماء الذين اوردوا حكما جلية وصوروا الفضيلة بصور جميلة
ويذكر منهم كثيرين خاصة سقراط وافلاطون وافريديس . ويرى ان درس

الفلاسفة ينير عقول الشبان ويشجع قرائتهم لتفهم معاني الكتب المقدسة وعقائد الكنيسة وينمي فيهم قوة التعبير الصحيح عن افكارهم . انما يجب مطالعتهم بانتباه وحذر . وكما اننا نتجنب الشوك عندما نقطف الورد هكذا ينبغي ان نتجنب الفاسد عندما نطالع اي كاتب كان . ومن مطالعة هذا المؤلف يتضح لنا ان اباء الكنيسة القدماء كانوا يميلون الى الفلسفة اليونانية ويجربون ان يوجدوا توازناً بينها وبين المبادئ المسيحية .

فالفلسفة اليونانية وخصوصاً الافلاطونية تشبه المسيحية لانها تعلم بوحداية الله وعنايته وروحانيته وبخلود النفس وان الغاية من وجود الانسان تحقيق الفضيلة والتشبه بالله . وهكذا اعدت الوثنيين للمسيحية كما اعد الانبياء اليهود لها . لذلك يقول يوستينوس الفيلسوف الشهيد : « ان مبادئ افلاطون ليست غريبة عن المسيحية » .

ومن مؤلفات باسيليوس كتاب عنوانه « ضد الهرطقة الاريسيين » وتفسير الكتب المقدسة . وعظات . ونصائح للربان والنسك . و ٣٦٥ رسالة . وهذه الرسائل مدججة بلغة سلسة جداً وموجهة الى اشخاص عديدين وهي تبحث عن مواضيع مختلفة . من يطالعها يقف على سيرة حياة القديس باسيليوس وعلى احوال الكنيسة في عهده . ومن مؤلفاته أيضاً خدمة القديس المدعوة باسمه وهي مختصر خدمة يعقوب الرسول .

فلهذه الفضائل التي تحلى بها أطلق عليه « القديس باسيليوس الكبير » وبحق لقب بالكبير لانه كان كبيراً بشخصيته وبعلمه وباعماله وبآثاره .

غريغوريوس اللاهوتي

اذيعت من راديو الشرق في ١٨ ك ٢ سنة ١٩٤٢

* * *

اما غريغوريوس فقد ولد في قرية «أريانز» بقرب «نازيتز» في الكابدوك لذلك يعرف باثريزي . وكان والده (واسمه ايضا غريغوريوس) ينتمي الى شيعة غربية ، هي مزيج من المسيحية واليهودية والوثنية فيعبد اتباعها الاله الحقيقي ويكرمون النار ويحافظون على يوم السبت . وقدارجعت زوجته «نونا» عن هذه المهرطقة الى المسيحية . فسيم اخيراً اسقفا على نازيتز . وكانت نونا تقية ومثقة وقد ربت ولدها غريغوريوس تربية دينية ووجهت ميله منذ صباه الى السلك الاكليريكي . وفي احد الايام وضعت يده الصغيرة على الانجيل المقدس وطلبت الى الله ان يوثله للوعظ والتبشير .

درس غريغوريوس العلوم في قيصريه ثم في مدرسة الاسكندرية اللاهوتية الشهيرة على اعظم اساتذة الفلسفة الافلاطونية الحديثة . واخيراً في اثينا التي كان يؤمها الطلبة من مختلف انحاء العالم . وهنا التقى بصديقه باسيلوس وقد اقام غريغوريوس في مدينة الحكمة عشر سنوات كاملة اتقن خلالها آداب اللغة اليونانية وعلم الخطابة والرياضيات والفلسفة والشعر . والم بعلم

والطبيعيات وغيرها . ولم تكن سعة اطلاعه وغزارة علمه لتقلل شيئاً من محبته للكنيسة بل كان كلما ازداد علماً ازداد تديناً وتقياً . فأيد بمثاله الحي الرأي القائل : ان العلم الكامل يقرب الى الله ولا يبعد عنه تعالى الا العلم الناقص .

وعندما عاد غريغوريوس من أثينا الى وطنه توجه الى البوند وانعكف مع صديقه باسيليوس على درس الكتاب المقدس ومؤلفات الاباء الاقدمين وعندما بلغه خبر اعتناق ابيه (اسقف نازيتز) لهرطقة آريوس اسرع اليه فاقنعه بالرجوع عن خطاه . واذ ذاك طلب اليه والده ورعية نازيتز ان يشترطن كاهناً فرفض هذا الطلب معتزلاً بأنه لم يصبح بعد اهلاً لدرجة الكهنوت السامية .

وبينما كان بوما في الكنيسة ووالده يخدم القديس الالهى شرطته كاهناً بالرغم من ارادته (٣٦١) فاستاء من هذه المفاجأة وهرب الى صديقه باسيليوس في البوند على انه عاد فاقتنع بان يرجع الى نازيتز ليعاون ابيه في الجهاد ضد اعداء الايمان .

وعند رجوعه القى خطابه المعروف بعنوان (عن الهرب) برر فيه فراره من درجة الكهنوت . ومن مطالعة هذا الخطاب يتضح ان آباء الكنيسة القدماء كانوا يهتمون الكاهن معلماً للشعب بالمثال والاقوال ومرشداً له في سبيل الصلاح والكمال . وليس باستطاعة الكاهن ان يوثدي رسالته هذه الا اذا كان مثقفاً . لانه كيف يعلم الشعب غير المتعلم ؟ وكيف ينيق عقول الآخرين من كان عقله مظلماً ؟ وكيف يظهر الغير من هو غير طاهر ؟ وكيف

يقود الخراف الى ربوع الفضيلة من يعيش في فيافي الرذيلة ؟ بل كيف يهدي رعيته الى الله من هو بعيد عن الله ؟

وعندها سيم باسيلوس مطرانا على قيصرية اقنع غريغوريوس ان يسام اسقفا على « ساسيم » ولكنه بعد ان تشرطن اسقفا وقبل ان يتسلم زمام ادارتها راي ان مطرانين يتنازعان عليها فانسحب الى البرية التي كان يحبها كثيراً لانها تفسح له مجال البحث والتنقيب . فغريغوريوس كان رجل فكر اكثر منه رجل ادارة . ومن هذه الجهة يختلف عن باسيلوس الذي كان عملياً وادارياً .

وعندما تقدم والده في السن استدعاه من البرية ليكون اسقفا معاونا له (٣٧٢) فلبى الدعوة . وهنا ظهرت مواهبه العلمية والخطابية بعباطه التي امتازت بدقة التعبير وسهولته . فكان يقرب الابحاث اللاهوتية الغامضة الى افهام الشعب البسيط ويدعم العقائد المسيحية بالمنطق والفلسفة .

وبينما هو يمارس وظيفته الرعائية بتزاهة واخلاص فاجأته الايام بمصائب عائلية فادحة . ففقد اباه (سنة ٣٧٤) واخته ووالدته واخاه (الذي كان طبيب البلاط الملكي) وأخيرا فقد صديقه الحميم وعشير صباه با سبليوس (سنة ٣٧٩) فسحقت هذه الصدمات نفسه الحساسة حتى انه ابى ان يخلف والده على ابرشية نازينز معتذرا بانه لا يستطيع ان يقيم في بلد يبعث في نفسه تذكارا لليمة . فذهب الى سلفكية وكان اسقفها صديقا له فاقام عنده مدة منهمكا بالفلسفة والادب لعله ينسى همومه .

و كانت هرطقة آريوس قد انتشرت انتشاراً فظيعاً واحتل اتباعه كنائس القسطنطينية ولم يبق بيد الارثوذكس غير كنيسة واحدة على اسم القديسة اناستاسيا وكانت هذه الكنيسة الصغيرة مهددة بنفوذ الاريوسيين وفي اشد الحاجة الى المناصرة . فتطلع شعبها الى من يتسلم دفتها لينقذها من الخطر المدهم فلم يجد غير غريغوريوس الذي كانت شهرته الواسعة قد وصلت الى العاصمة . فاستنجد به ليتولى هذه المهمة الصعبة .

ومع انه كان غير ميال الى ادارة شؤون الناس لم يرفض هذه الدعوة شاعرا بان الرسالة التي تجند لها توجب عليه ان يسرع الى انقاذ المشرفين على الخطر من اخوانه في العقيدة فاجاء الى القسطنطينية وابتدأ فيها جهادا جديدا شاقا . وهنا القى عظاته الخمس عن لامحوت (الكلمة) التي بها شدد عزائم الارثوذكس وثبتهم في الايمان القويم ودحض حجج المعارضين ودك اركان هرطقتهم وكثيرا ما احاطوا بتلك الكنيسة الصغيرة وهددوه بالدخول اليها للفتك به وكثيرا ما تدعوه في الطريق قاذفين بحقه الشتائم .

كان غريغوريوس صغير الجسم وليس لمظهره الخارجي تأثير على الناظر اليه انها اذا ما اعتلى المنبر واطلق لسانه العنان سحر الالباب واخذ بمجامع القلوب .

وقد زادت عظاته في العاصمة شهرته فأصبحت عالمية حتى ان كثيرين جاؤوا من اقاصي الارض الى القسطنطينية ليسمعه ويعجبوا به . منهم الكاتب اللاتيني الشهير ايرونيemos الذي ابدى اعجابه به في مؤلفاته

فسقياً لتلك الايام التي كان فيها الشرق محط رجال العلم والادب والفلسفة
واللاهوت ومطمح انظار ابناء الغرب .

ولقد اثمرت جهود غريغوريوس في القسطنطينية وساعد على ذلك موت
الامبراطور « اوتيس » فتسلم العرش ثيوذوسيوس الاول الذي اعلن رغبته
في ان يرى دستور الايمان الذي سنه مجمع نيقية سائداً في مملكته . واذ
كان الناس على دين ملوكهم فقد رجع المراطقة الى حظيرة الايمان القويم ونودي
بغريغوريوس رئيس اساقفة القسطنطينية ودعي رؤساء الكنائس لعقد المجمع
المسكوني الثاني في العاصمة (سنة ٣٨١) وانتخب غريغوريوس رئيساً للمجمع
وكان هذا الفوز فوز الايمان القويم انتصاراً لغريغوريوس وامثاله من المجاهدين
في سبيل العقيدة .

ولكن غريغوريوس . كسائر المباقرة لم يولد ليموت على عرش مجده
فقام عدد من اساقفة المجمع المنعقد برؤاسته يقولون ان غريغوريوس وصل الى
كرسي القسطنطينية عن غير طريق القانون الكنسي الذي يمنع انتقال
الاسقف من ابرشية الى اخرى . وتجاهل هؤلاء ان القانون يضيف الى المادة
المشار اليها هذا النص « الا اذا كان هناك سبب معقول » فغريغوريوس استدعي
لانقاذ الكنيسة من الخطر . وهل من سبب معقول اكثر من هذا السبب ؟
ولكن قاتل الله الحسد فانه لا يعرف منطقاً ولا حقاً ولا عدلاً .

ولم تكن نفس غريغوريوس الحساسة لتطيق سماع مثل هذه الاعتراضات
لذلك استقال من رئاسة المجمع ومن كرسي القسطنطينية وودع الجمع بخطاب
بليغ موثر وغادر العاصمة وعاد الى نازينز .

وكان مركز اسقفيتها لا يزال شاغراً فطلب اليه الشعب ان يقبل هذا المركز فاعتذر : وعندما افتتح اسقف جديد للبرشية تركها وجاء الى القرية التي ولد فيها . وهنا قضى آخر ايام حياته بين المطالعة والتأليف بعيداً عن الحاسدين والمعارضين والمشايخين . الى ان توفاه الله سنة ٣٩٠ للمسيح .

وتشهد مؤلفاته التي وصلت اليها بأن حياته كانت حياة جهاد في سبيل الكنيسة والايان القويم . وانه كان خطيباً كبيراً وشاعراً ملهماً وكاتباً قديراً . مؤلفاته هي خطب وقصائد ورسائل . اما الخطب وعددها ٤٥ فتمتاز بسلاسة العبارة وسمو الخيال . فكان نثره اسلاسته شعراً وشعوره اسهولته نثراً .

واني لا ذكر من خطبه تلك التي وجهها الى الامبراطور يوليانيوس الذي اقنعه الفلاسفة الوثنيين بأن عظمة العصر اليوناني القديم اللامع بالحكمة والفن والادب لا تعود الا اذا عادت الديانة الوثنية . ولكن جهود يوليانيوس ذهبت ادراج الرياح لان الناس بعد ان رفعتهم المسيحية الى قمة الايمان بالاله الواحد الحقيقي لم يعد من السهل انزالهم الى حضيض عبادة الاصنام المصنوعة بالايدي . فحمل غريغوريوس على هذا الضلال ذاكراً ان افلاطون وارسطو من قبله قد شتا الغارة الشعواء على العبادة الوثنية . ولا انسى من مؤلفات غريغوريوس الخالدة الكتاب المعلنون (عن الذات) الذي سرد فيه تاريخ حياته وصور حالة الكنيسة والاكليروس في عهده باجمل الاوان . والرواية التمثيلية وعنوانها (المسيح يتالم) التي نسج فيها على منوال الكتاب

اليوناني القديم «أفريبيدس» . اما قصائده فتضمه في الرعيل الاول من الشعراء .
الكنسيين حتى ان كثيرين من ناظمي الاناشيد الكنسية قد استعاروا من
شعره ابياتا بكاء لها . واما رسائله وعددها ٢٤٢ فهي مرجع ثقة لتاريخ
الكنيسة في ذلك العهد

وكما تميز باسيليوس بجنكته الادارية تميز غريغوريوس بمقدرته اللاهوتية
لذلك لقب باللاهوتي .

هذه خطوط صغيرة لصورة القديس غريغوريوس اللاهوتي لعلها تساعدكم
على تصور تلك الشخصية الفذة التي سنبقى اثار عبقريتها تتحدث عن عظمتها
الى الابد .



يوحنا الذهبي الفم

اذيعت من راديو الشرق في ٢٢ شباط سنة ١٩٤٢

* *

واما يوحنا فقد ولد في انطاكية سنة ٣٤٤ مسيحية وكان ابوس «ساكوندوس» جنديا شجاعا واما «انثوسا» تقية جدا وقد تزلت وهي في العشرين من عمرها فتفرغت لتربية ولدها تربية صالحة .

تلقت يوحنا اصول الخطابة والفلسفة على الاستاذ الشهير « ايفانيوس » وبدأت موهبة الخطابة فيه منذ صباه حتى ان استاذ المذكور عندما سئل قبيل وفاته : من تسمي خلفا لك في تدريس الخطابة قال : كنت اسمي يوحنا لو لم يكن قد استأثر به المسيحيون .

ولقد سار شوطا بعيدا في ميدان السياسة الا ان الميل نحو الكنيسة الذي غرسه فيه والدته قد حوله الى الميدان الديني . فترك الخطابة السياسية فجأة وانسحب من المجتمع المدني مع صديق له يدعى باسيلوس وانكب الاثنان على درس المبادئ الدينية وممارسة عيشة الرهبنة استعدادا للدخول في السلك الاكليريكي . وعندما توفي رئيس اساقفة انطاكية ملاقيوس وشغل المركز وتزلت ابرشيات اخرى في سوريا طلبا ليساناسقفين وان كانا بعد لم يبلغا السن القانونية فاتفقا على ان بقللا هذه الدرجة الشريفة معا .

ولكن بعد ان شرطن باسيليوس احجم يوحنا . وعند ذلك كتب مقالاته (عن الكهنوت) التي اعلى فيها شأن الكهنوت خاصة درجة الاسقفية ووضح المسؤولية الملقاة على عاتق الاسقف مبررا بذلك احجامه عن قبول الاسقفية .

وبعد وفاة امه دخل المدرسة اللاهوتية في انطاكية حيث تعمق في تفهم الكتب المقدسة والعقائد المسيحية على استاذين كبيرين هما « كارتاريوس » و « ذيودورس » فتضلع من علم اللاهوت واصبح كهنوا لخدمة الكنيسة . وسنة ٣٨٠ ترك المدرسة قبل ان يتم دراسته فيها اثر مرض اعتراه . وسنة ٣٨٤ شرطنه رئيس اساقفة انطاكية الجديد « فلافيانوس » كاهنا وعينه واعظ الكنيسة الكاتدرائية التي كانت على رجبها تغص بجمهور المستمعين الى عظاته .

وفي هذه الاثناء فرض الامبراطور ثيودوسيوس الاول ضرائب جديدة على المدينة فشار شعبها وحطم تماثيل الملك والعائلة المالكة المقامة في السوق بالقرب من الكنيسة . وبعد ان هددت سورة الغضب استرلى على الجمهور رعب وخوف من انتقام الملك للالهانة التي لحقت به من جراء تحطيم تلك التماثيل . فتقرر ان يوجه وفد برئاسة المطران فلافيانوس الى العاصمة ليعتذر الى الملك عما صدر من الشعب عن طيش وجهل وليطلب اليه صفحا وعفوا . فعهد رئيس الاساقفة الى الكاهن يوحنا بادارة شؤون الابرشية اثناء غيابه . فافسح له المجال لاطهار مقدرته على ادارة امور الرعية وشؤون الكنيسة . وفي هذه المناسبة القى خطبه (عن التماثيل) التي بها ائب الشعب

لتطاوله على الرئاسة الزمنية العليا . . . وبالوقت نفسه هدا روعه وسكن اضطرابه فظهرت في هذه الخطب فصاحته وطلاقة لسانه وابتدأت منها شهرته كخطيب كبير .

سنة ٣٩٧ توفي رئيس اساقفة القسطنطينية « نكتاريوس » فاستدعى الامبراطور « اركاديوس » الكاهن يوحنا الانطاكي الذي وصل صيته الى مسامعه دون ان يعلمه القصد من استدعائه اليه فلبى يوحنا الدعوة . وما كاد يصل الى القسطنطينية حتى امر الملك رئيس اساقفة الاسكندرية ثيوفيلوس الذي صودف وجوده آنئذ في العاصمة فشرطن يوحنا اسقفاً وسلمه عصا رعاية الكرسي القسطنطيني وكان ثيوفيلوس يريد ان يرفع الى هذا الكرسي اكليريكيًا آخر اسمه « اسيدوروس » ولكنه نزل على ارادة الامبراطور . والان وضع السراج على المنارة فأمتد نوره الى مسافة ابعد . ومن اجدر بعرش العاصمة من يوحنا ؟ ذلك الذي جمع في شخصه مواهب عديدة :

ثقافة تامة وفضيلة كاملة ومقدرة خطابية نادرة وحنكة ادارية فائقة وغيره على الكنيسة خالصة . وقد حقق كرئيس اساقفة القسطنطينية المثل الاعلى للكهنة الذي وصفه بجماس الشباب في مقالاته (عن الكهنوت) وعاش وهو راع لاغنى مدينة في ذلك العصر عيشة تقشف زائد وحياة راهب بسيط مرتدياً اوضع الثياب ومقتصراً على ابسط الاطعمة ومحافظاً على الاصوام والصلوات . وكان يتجنب الظهور بمظاهر العظمة والابهة ويخرج الى الشوارع دون ما حاشية خلافاً لرواساء الكهنة في عصره الذي كانوا يقطنون القصور

الشاهقة ويجلسون على الموائد الانيقة ويوتدون المطارف النفيسة ويخرجون
بجالي العظمة محمولين على عربات تجرها خيول مطهمة كالملوك والامراء .
وكان يعتقد ان على رئيس الكهنة ان يكون مثال البساطة والتواضع
والتقشف والقناعة . وان يكون صاحب نفوذ ومسموع الكلمة لدى
الشعب والزعماء وذوي السلطان بفضيلته وقيمه الشخصية لا بمظاهره الخارجية
الفارغة .

وفما كان يعيش ببساطة وتقشف وقناعة وتقدير كان ينفق بسخاء على
الفقراء والمعوزين ولقد انشأ مؤسسات خيرية من كل نوع في القسطنطينية
حيث كان عدد الفقراء كبيراً كما هي الحال في كل مدينة كبيرة . وكان
يعتبر الوعظ من اهم واجباته الرعائية فلم يدخل الكنيسة مرة دون ان ينثر
على المؤمنين من درر اقواله . وكانت الجماهير تتدفق على الكنيسة
الاستماع الى خطبه وعظاته . حتى انه اضطر ان يتزل عن العرش الذي كان
الاساقفة يعطون من فوقه وان يعتلي المنبر ليصل صوته الى الجماهير البعيدة
المرهقة الاذان . وبتأثير عظاته البليغة رجع كثير من المراهقة الى الايمان
القويم واعتنق كثيرون من الوثنيين المسيحية : ولما كان الخطباء الكنسيون
في ذلك العهد يتطلبون من الشعب التصفيق لهم في الكنيسة حمل يوحنا على
هذه العادة حملة شعواء معتبراً التصفيق ضجيجاً وتعكيراً للجو ومظهراً غير
لائق في بيت الله . على ان الشعب كان يزداد تصفيقا له حتى وفي اثناء هذا
الانتقاد الموفق . ولم يتأخر عن محاربة المهرطقات التي ازعجت الكنيسة في
عهده :

ولم يغفل عن توبيخ رجال الاكليروس الخاضعين لرئاسته العائشين
بالبدخ والترف والتنعيم . وعندما بلغه ان ثلاثة عشر اسقفاً حول افسس
باعوا درجة الكهنوت بالمال جاء بذاته الى افسس فجرد هؤلاء الاساقفة
الثلاثة عشر من درجة الكهنوت وسام غيرهم عوضاً عنهم .

ولم يحجم عن ارسال سهام نقده اللاذع الى الحكام والولاة والبلات
الملكي . وكالت الملكة آفدوكسيا وثلاث ارامل صديقات لها يارسن
حياة شاذة فيظهرن بوجوه مصبوغة بالالوان الكاذبة تنم عن شذوذهن
الخلقي فانتقد يوحنا في خطبه هذا الشذوذ . وحمل كذلك على احد المقربين
من الملك واسمه آفتروبيوس الذي حاول ان يتزع من الكنائس حق حماية
اللاجئين اليها هرباً من وجه الحكومة وقد اضطر هذا الخصي يوماً للالتجاء
الى معبد « آجيا سوفيا » هرباً من وجه العدالة فوقف يوحنا موقفاً شريفاً منه
ودافع عنه .

وبهذه المناسبة القى خطبه الشهيرة (الى آفتروبيوس) التي صور فيها
بطلان العالم باروع الالوان . وندد بكبرياء آفتروبيوس وتجديده الكنيسة
ونصح له ان يتوب عما فعل وطلب من المسيحيين ان يصفحوا عنه وان ينسوا
سيئاته السابقة . وانقذ يوحنا حياة ثلاثة رجال من الموت اذ جاء بنفسه الى
المعسكر وفاز بالاستحصال على امر العفو عنهم .

ان جرأة يوحنا وصراحته وتوبيخه للاساقفة والحكام والولاة والبلات
الملكي قد خلق له اعداء الداء فتألفت في العاصمة عصبة من هؤلاء الاعداء
برئاسة الملكة آفدوكسيا ثم انضم الى هذه العصبة رئيس اساقفة الاسكندرية

ثيوفيلوس والاسقف السوري سافيريانوس الذي أنابه عنه أثناء تعذيبه عن الكروسي في افسس ، فاستغل هذا الاسقف المرائي غياب يوحنا واخذ يغمز من قناته في عظاته واحاديثه ليقفل من تعاقب الشعب برئيسه المحبوب .

وكان رجال هذه العصابة يتربصون الفرص الايقاع به . وقد وهبتهم الايام ما تمنوا . وذلك ان نزاعا قام في الاسكندرية بين انصار اوريجانوس واخصامه بسبب نزعه الى التوفيق بين الفلسفة اليونانية والتعاليم المسيحية . فطرد مطران الاسكندرية (ثيوفيلوس) اربعة رهبان اوريجانيين الذين جاؤوا الى القسطنطينية والتجأوا الى رئيس اساقفتها فقبلهم لما هو عليه من رحابة صدر وايفهم الاسباب التي دعت لطردهم .

فأتهم ثيوفيلوس يوحنا انه اوريجاني واقنع ابيفانيوس رئيس اساقفة قبرص المعروف بكبره لاوريجانوس ان يسافر الى القسطنطينية للوقوف على حقيقة هذا الامر . ولكن يوحنا ابي ان يجتمع بأبيفانيوس لثلاثي محصى في عداد اعداء اوريجانوس ذلك المعلم العظيم الذي يحترمه آباء الكنيسة العظام نظراً لحكمته النادرة ويعتبرونه المرشد الاول لتفسير الكتب المقدسة وان كانت له آراء مغلوطة في بعض المواضيع التي لم يكن صدر بشأنها قرار ما من مجمع قانوني .

وقد واصل اعداء يوحنا مساعدتهم ضده ولما قدم الرهبان الاربعة شكواهم على المطران ثيوفيلوس قدم هذا الى العاصمة فتفاهم مع الملكة أفذوكسيا ورجال العصابة الآخرين . وبعد ان كان مدعى عليه أصبح مدعياً على يوحنا فأتهمه بأمور تافهة كادعائه بانه يعيش بتقتير ويتناول طعامه وحده ويوبخ

الخطاة بعنف ولا يحترم البلاط الملكي .

فبعد مجمع في احد احياء القسطنطينية سنة ٤٠٣ هـ فحكم على يوحنا بالابعاد
وما ان بلغ الشعب خبر نفى راعيه المحبوب حتى هاج وماج وهجم على الجنود
الذين كانوا يسوقونه فاخذتطفه من ايديهم وارجمه بالقوة الى عرشه . وعلى
الاثر التأم مجمع فتهراء يوحنا من التهم المنسوبة اليه . واسرع البلاط الملكي
ليهر موقفه خوفاً من ثورة الشعب ملقياً المساوية فيما جرى على عوائق غيره
اما الملكة فظلت حاقدة على يوحنا . وقد حرك بواطن حقدتها خطاب
استهله بهذه الاية « وايضاً هيروديا تضطرب وايضاً تطاب رأس يوحنا على
طبق » اذ قال لها الاعداء انه يقصدها بهذا الخطاب . فأقيمت عليه دعوى
جديدة بأيعاز من الملكة مفادها انه رجع الى الكرسي قبل ان يصدر المجمع
قواره بهراءته . فصدر الامر بتنفيه خفية الى بلاد ارمينيا دون ان يعلم احد
من الشعب بذلك . وعندما ابلغ قوار النفى قال : « للرب الارض بكاملها
الدنيا وكل الساكنين فيها » .

وبقي مبعداً هناك مدة طويلة احتمال في خلالها ضرب العذاب بصبر
ايوبي . وكان البغضاء صورت لاعدائه مسافة هذا النفى قريبة فسمعوا
لابعاده الى اقاصي آسيا الصغرى وبينما كان الجنود يجرون ذلك الجسم
الهزيل في طريق النفى جراً ، اسلم روحه في يد باربيها وذلك سنة ٤٠٧ هـ فأتلج
نبأ وفاته صدور اعدائه القليلين وتزل نزول الصاعقة على رؤوس انصاره
الكثيرين .

وقد بقيت فئة من مريديه منفصلة عن الكنيسة لا تقيم رئاسة سواء

واطلق على افرادها اسم « يوحنيين » . ولم تعد هذه الكتلة الى احضان الكنيسة الا بعد ان ردت الى رئيسها كرامته وذلك على عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثاني الذي امر بنقل رفات القديس يوحنا من المنفى الى العاصمة ووضعها بين مظاهر التكريم والتعظيم في كنيسة الرسل القديسين .

هذه كلمة موجزة عن القديس يوحنا رئيس اساقفة القسطنطينية وعن جهاده في سبيل الكنيسة واحتماله الاضطهادات لاجل الحق والصواب .

اما موافاته فكثيرة وهي عظات وخطب ورسائل تتعلل بفصاحة اللفظ وبلاغة المعنى . ففي عنايته يفسر الكتب المقدسة فيشرح اولا . ثم الكتاب ثم ينصح للشعب ان يتبنى افكار الكاتب واخيراً يهيب به ان يحقق المثل العليا التي يتضمنها الموضوع . مقتفياً بتفسيره خطى اساتذة المدرسة الانطاكية على الطريقة المعروفة بالحرفية او النقدية . ومتجنباً طريقة اساتذة مدرسة الاسكندرية المجازية .

واشهر خطبه (عن التائب) و (الى آقثروبيوس) و (عن الكهنوت) وهو يستشهد فيها بكتاب اليونان القدماء وبفلاسفتهم وشعرائهم .

غير ان رسائله تبحث في مواضيع مختلفة من يطالعها يقف على سيرة حياته وحالة الكنيسة في عصره . وما كتبه منها في منقاه يدمي الفؤاد ويدل على قوة صبره واحتماله وعلى فظاعة العذابات التي تعرض لها .

وقد وضع ايضاً خدمة القداس الالهى المعروف باسمه وهي مختصر قداس باسيليوس الكبير .

ان يوحنا كان قديساً بطهارته وعفته وراعياً صالحاً بإدارة شؤون الكنيسة
والرعية وعالماً متضلعا من اللاهوت والفلسفة .

ولكن في هذه الميادين كلها كان له مضارعون . انما الامر الذي لا
يجاريه فيه احد فهو نبوغة في فن الخطابة . فهو اخطب رجل في المسيحية
على الاطلاق . هو ذيوستين الكنيسة لذلك لقب بالذهبي الفم . هذا اللقب
الذي لم يعط لغيره لا من قبل ولا من بعد .

فالذهبي الفم في العالم واحد وهو يوحنا ابن انطاكية . وفي هذا ما
فيه لنا نحن ابناء الكرسي الانطاكي من فخر ومجد نضيفها الى تراث تاريخي
يرفع اسم وطننا عاليا بين الاوطان ويخلد اسماء نوابغنا على مدى الازمان .



اعرف نفسك

اذيعت من راديو الشرق
في ٢٢ اذار سنة ١٩٤٢

*

سنة ٤٧٠ قبل المسيح ولد في اثينا انسان من اب صنعته نحات تماثيل
وام مهنتها مولدة فنشأ رجلاً ولداً في عقله ونحاتاً في اسلوبه المبتكر. واندفع
من تلقاء ذاته لا مأجوراً ولا ساعياً وراء مجد او شهرة لتعليم ابناء وطنه
فاصبح بعد حين معلماً للانسانية.

لقد علم هذا الحكيم تعاليم خلقية سامية يدور معظمها حول الفضيلة
والصلاح وترمي كلها الى جعل الانسان كاملاً بالقول والعمل.

فمن تعاليمه: ان الانسان الصديق هو من يعرف الصلاح ويعمل به
فالصلاح ينتج اللذة والكمال.

وان العفة والرجولة يقودان الى العدالة أي الى اتمام الشرائع الالهية
والمدينة.

وان الفضيلة والسعادة هما شقيقتان لا تفترقان.

وان الدين هو فعل الخير والعدل.

وان الله هو ربان النواميس الخلقية . واننا ندرك وجوده تعالى من
تناسب الطبيعة في الانسان وفي الكون .

ومن تعاليمه ايضا : ان النفس البشرية هي شبيهة بالله بالعقل وبالعامل
الغير المنظور لذلك هي خالدة .

وان كل علم لا يساعد على ترقية الحياة الاجتماعية هو باطل وغير مرضي
لدى الله .

واخيراً علم هذا الفيلسوف الاثينائي : ان مصدر كل معرفة هي معرفة
النفس فقال كلمته المشهورة : « اعرف نفسك » .

هذا هو سقراط الذي حارب حكماء عصره السفسطائيين فأوجد لنفسه
اعداء الذاء فحكم عليه بالاعدام .

وبعد اربعماية سنة من وفاة سقراط ولد في فلسطين اله من فتاة فقيرة
وتربى على يد شيخ نجار فنشأ (بالجسد) زعيم الفقراء ونجاراً في تروته
لتجديد البشرية تجديداً روحياً . وراح يعلم ابناء وطنه تعاليم روحية ترمي
الى اقران القول بالفعل كقوله : « ليس من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت
السماء بل الذي يعمل مشيئة الاب الذي في السماوات » . وعاش حياة
تنطبق على آرائه واقواله .

فكان راعياً بفتش عن الحروف الضال ويقود القطيع الى المراعي
الخصبة .

ومعلماً يذيب قلبه على لسانه .

وطبيعاً يشفي الأم الإنسانية وأوصابها .

وأباً يشفق على الشاردين من الابناء .

وقديساً يعطف على الخطاة والضعفاء . حتى انه قال للذين ارادوا ان يرحموا الزانية « من كان منكم بلا خطيئة فليرحمها اولاً مجبر » (يوحنا ٨ : ٧) وقال للذين يعيشون في الارض فساداً « لا تدينوا اثلاً تدانوا » (متى ٧ : ١) والذي يدعي معرفة الناس وهو يحل نفسه « لماذا تنظر القذى في عين اخيك اما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها » . (متى ٧ : ٣)

واخيراً اعطى مثلاً اعلى للاخلاق اذ قال : « ليكن كلامكم نعم نعم واللا لا » (متى ٥ : ٣٧) .

هذا هو الاله المتأنس يسوع الذي حمل على معلمي امته اليهودية (الكتبة والفريسيين) حملات شعواء ادت الى رفعه على خشبة الصليب . ثم جاء اول واعظ في المسيحية الرسول بولس الذي وفق بين فلسفة سقراط البشرية وفلسفة يسوع الالهية فقال : « انت بلا عذر ايها الانسان كل من يدين لانك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك لانك انت الذي تدين تفعل تلك الامور بعينها » (رسالة بولس الى اهل رومية ٢ : ١)

وهل هذه الكلمات الواضحة الا تفسير « اعرف نفسك » ؟

ان الذين يفتابون الناس فريقان : فريق يتكلم بدون خجل . وفريق آخر يقستر بالحياء ويتظاهر بالاسف فيقول احدهم مثلاً « يؤلني ان يكون فلان قد وقع في الخطأ الفلاني مع انه صاحب مواهب » وهكذا يخفي لومه

في قلبه (متى ١٢ : ٣٤) وإيكن لو لم يوجد من يصغي لمثل هؤلاء لما وجد
واش واحد . لذلك يؤخذ الواشي والسامع معا .
يقول القديس باسيليوس الكبير : « ان الواشي يسيء الى ثلاثة اشخاص
للموשי به والسامع له والمتكلم نفسه » .

ويقول القديس امبروسيوس : « ان الرجل العاقل يفكر قبل ان
يتكلم عن اي شيء . سيتكلم ومع من وفي اي مكان وفي اي زمان » .
فالحكمة تقضي بأن نصم آذاننا عن الاستماع الى كلام الوشاة والا كنا
مشاركين لهم في الخطأ
وخلاصة القول :

ان معرفة النفس هي اساس كل معرفة . ومن عرف نفسه لا يغتاب
غيره . اذا من يغتاب الناس يكون جاهلاً . هذه نتيجة منطقية بالاستناد
الى فلسفة سقراط وتعاليم السيد المسيح وتلميذه بولس .

فيا ايها الاب الذي يعرف ان ينهي بنيته عن شرب الخمر وهو يكرعها
من الزق اعرف نفسك فبنوك يعرفونك ويسخرون من ارشاداتك .

وانت ايها الام التي تعرف ان توصي ابنتها بالعفة وهي تنهج سبل
الخلاعة اعرف نفسك فابنتك تعرفك وتهزأ من وصاياك .

ويا ايها الخطيب الذي يعرف خطاباً واحداً يلقيه في كل المناسبات
اعرف نفسك فقد عرفك سامعوك وخطابك لا يستدعي منهم غير الشفقة
عليك .

وانت ايها السامع ايا كنت اعرف نفسك لتعرف العالم كله لانه
« ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه (مرقس ٨ : ٣٤)

واجبات المسيحيين في الاحوال الحاضرة

ارجلت في نادي التعاون بتاريخ ٢٦ اذار سنة ١٩٤٢

*

عندما طلب الي ان اقول كلمة في هذه الحلقة الكريمة وفرض علي الموضوع فرضا ظننت اني وضعت ضمن دائرة ضيقة . ولكن عندما اخذت افكر في الموضوع رايتني كلما ارتفعت بتفكيري كلما اتسعت دائرة الموضوع حولي فكان حالي حال انسان في وادي الافق من وراء الجبال المحيطة به ولكن عندما يرتفع الي راس الجبل تتسع امام نظره دائرة الافق .

فآفاق الموضوع واسعة لان هناك واجبات المرء نحو نفسه ونحو بيئته ونحو العالم اجمع . ولكن رويدا فزنا اذهب بكم الى تلك الافاق البعيدة في هذا الوقت القصير وانما احصر كلامي في الموضوع :

« واجبات المسيحيين في الاحوال الحاضرة » واجبات جمع واجب وهو ما يفرضه علي وعليك الناموس . فالواجب والحق مرتبطان . فكل حق يقابله واجب وكل واجب يقابله حق . هذا هو العدل وهكذا تقول الفلسفة الخلقية . ولكن الدين المسيحي يذهب الى ابعد من ذلك . فقد قال المسيح « اذا احببتم الذين يحبونكم واذا احسنتم الى الذين يحسنون اليكم .

وإذا اقترضتم من ترجون منهم المثل أي فضل لكم فالأمر هكذا يفعلون
لكن اجبروا اعدائكم باركوا لاغنيكم احسنوا الى الذين يسيئون اليكم
اقترضوا من لا ترجون منهم بدلا»

فالمقصود اذاً من كلمة « واجبات » هنا الاعمال التي لا يقابلها حقوق
« واجبات المسيحيين »

من هم المسيحيون ؟

انا لا اقول ما قال احد المفسرين « يوجد في العالم مسيحي واحد وهو المسيح »
لاني اعتقد بوجود نفر من المسيحيين ولو كان قليلاً . ولكن بربكم
افيدوني :

هل هؤلاء الذين يهضمون حقوق الارامل واليتامى ويسلبونهم اموالهم
ويتخطرون في الشوارع والاسواق بسياراتهم واصحاب الحق المهضوم حفاة
عراة هم مسيحيون ؟

واولئك الذين يحتكرون خبز الفقير ويجمعون من ثمنه الاموال اينفقوها على
المذايق الخاصة والفقير يتضور جوعاً هم مسيحيون ؟

كلنا نعرف كيف عاش المسيح . فهل نشعر بنجمل عندما نقابل بين
حياته وحياتنا ؟

فيظهر ان المقصود من كلمة « مسيحيين » هنا كل من يحمل تذكرة
هوية تصرح بانه مسيحي .

وماذا يقصد بكلمتي الاحوال الحاضرة ؟

اسمحوا لي ان اقبل هاتين الكلمتين كما وردتا في الموضوع دون تعليق
لئلا ازلق الى حديث سياسي يكون وخيم العاقبة علي

فيكون موضوعنا هكذا : ماذا يجب على المدعوين مسيحيين ان يفعلوا
في الاحوال الحاضرة »

سألت شاعراً هذا السؤال فقال : يجب ان نشعر مع المتألمين والمصابين
والمذكوبين واستشهد بقول الرسول بولس « من منكم يحزن ولا
أحزن معه » .

فاجبته : وهل يشيع الشعور جائعاً او يروي ظمأنا او يكسو عرياناً ؟
وانصرفت عنه ورحلت اوجه هذا السؤال الى تاثير ناقم على امته فقال :
يجب ان نضع ايادات الاوقاف والاديار والكنائس تحت تصرف الفقراء
والمذكوبين والمصابين لان هذه المؤسسات كلها مسجلة باسم الفقراء
وموقوفة من اصحابها الاتقياء لمثل هذه الاحوال .

فاجبته : حيناً لو تحققت احلامك .

وانصرفت عنه ورحلت اسأل مؤرخاً فقال : اما قرأت في التاريخ انه
عندما كان يلم بالبلاد وباء كان المسيحيون يزجون بأنفسهم في الخطر لمواساة
المرضى من غير مذهبهم ؟ فاجبته : نعم لقد قرأت ذلك . وانصرفت عنه
وذهبت الى متدين وطرحت عليه هذا السؤال فقال : يجب ان نصوم ونصلي

ليرفع الله عنا اخطار الحروب . واستشهد بقول السيد المسيح « صوموا وصلوا
لئلا تدخلوا في تجربة »

فاجبته : هل الله بحاجة الى الاقتناع ليرفع الحروب ؟ وهل الصلاة
وسائر الطقوس الدينية وضعت لاقتناع الله ام لاقتناع الناس بالرجوع عن
الاططاء ؟

وانصرفت عنه ورحلت اسأل كريباً فقال : يجب علينا ان نعطي كل
ما غلك للفقراء والمنكوبين والمصابين والمهاجرين لانه ورد في الانجيل المقدس
ان السيد المسيح قال للشاب الغني « اذهب بيع كل ما لك واعط الفقراء »
فاجبته : وورد في الانجيل ايضاً « لا يأخذون خبز البنين ويطرحونه للكلاب »
وانصرفت عنه وذهبت الى نجيل وطرحت عليه هذا السؤال فقال : يجب
على كل من الناس ان يساعد نفسه فلا يعود احد محتاجاً للمساعدة فاجبته :
وان ساعد كل منا نفسه يبقى هناك عدد ممن حكمت عليهم الطبيعة بالعجز
فلا يستطيعون ان يعتنوا بانفسهم .

واخيراً عدت الى نفسي وسألتها فقالت لي :

يجب علينا ان نعمل كل ما رويت على اسان الشاعر والثائر والمؤرخ
والمتدين والكريم والبخيل . اعني : يجب ان نشعر مع العاجزين عن اعانة
انفسهم ومتى شعرنا مددنا لمساعدتهم ايدينا فالشعور اساس العمل . ويجب
ان نشور مع الثائرين على المحتكرين وهاضي حقوق الضعفاء . وان كانت ثورتنا
لا تضع حداً للظلم اليوم فستأتي ساعة يعلم فيها الظالمون اي منقلب ينقلبون

ويجب ان نقسبه بالمسيحيين القدماء بمساعدة العاجزين على اختلاف
مذاهبهم والوانهم ولغاتهم .

ويجب ان نعود الى الله ولكن ليس يتزديد الصلوات ترديداً آلياً
بل بالعمل بموجب وصاياه تعالى فالذين عمل لا اقوال .

ويجب ان نكون كرماء باغاثة العاجزين وبجلاء تجاه الدجالين الذين
يتخذون الاستعطاء مهنة ويجب ان نضرب هؤلاء بالعصا .

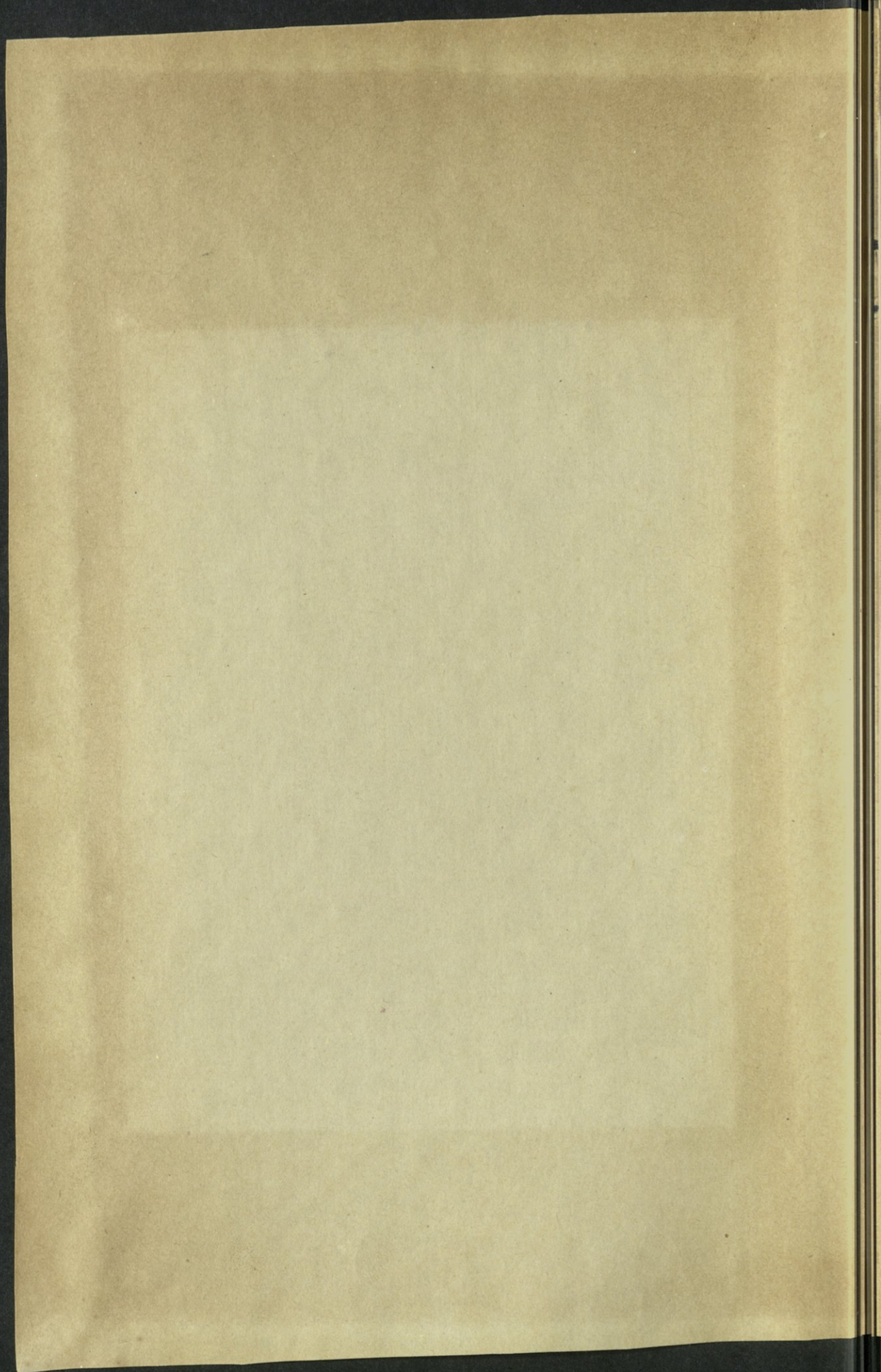
اصدح فطاء

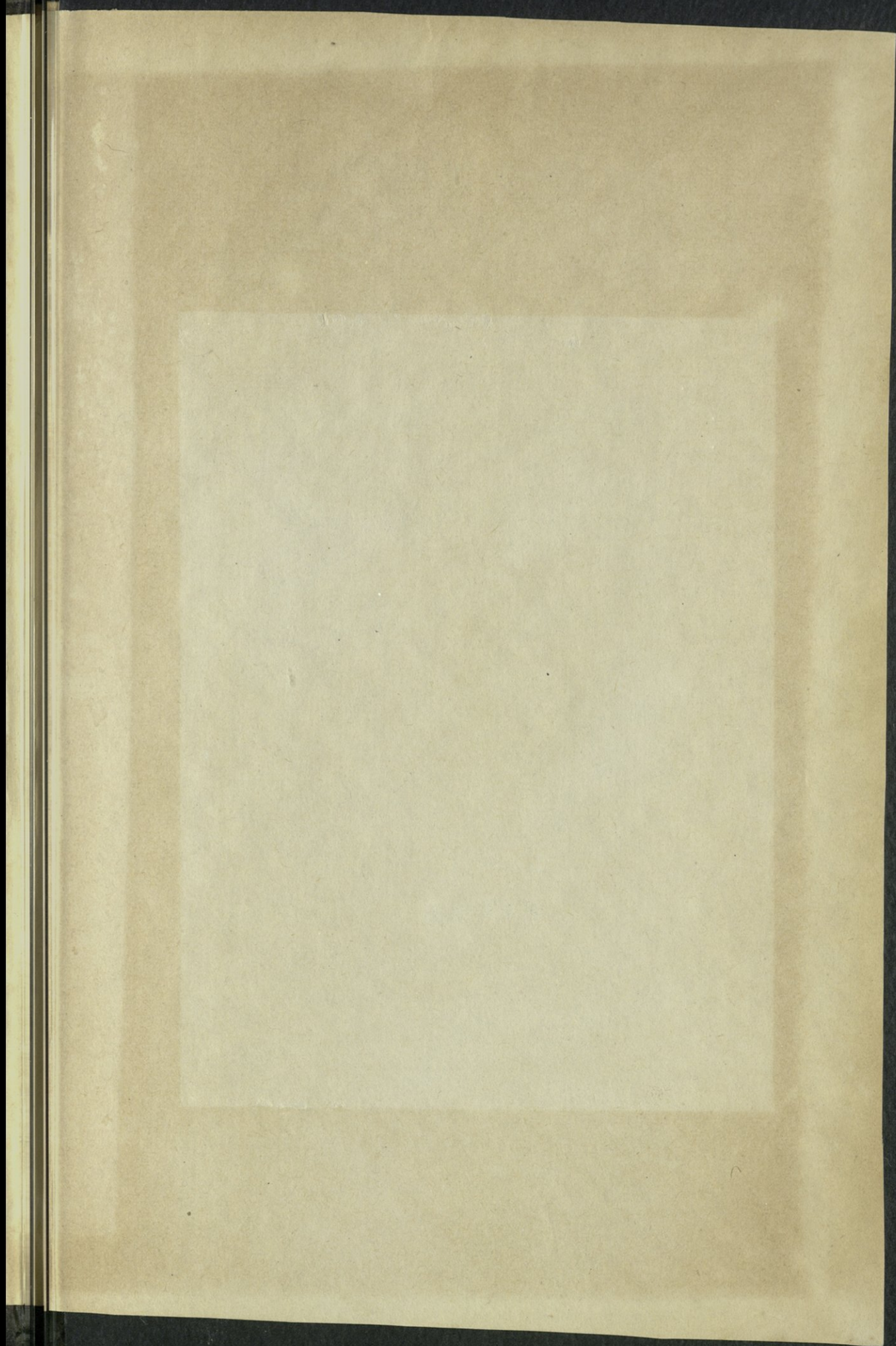
صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٠	١٩	نظن اللاهوت شبيه	نظن ان اللاهوت شبيه
١٤	٨	وهناك علم مرصع	وهناك علم مرصع فوق قاعدة رخامية
١٨	١٠	بشارة العذراء او تجسد	بشارة العذراء وتجسد
٢٩	١٥	مرتدين مرتدين	مرتدين
٣١	٣	اي لعب ليلة العيد	اي لعب ليلة العيد من لا يتقن
٤٠	١	والطبيعيات	الطب والطبيعيات
٤٨	٢٠	الذي	الذين

وهناك اخطاء اخر لا تحفى على الايب .

فهرس الكتاب

صفحة	
١	العلم والدين
٦	الرسول بولس في اثينا
١٤	المديح الذي لا يجلس فيه
٢٠	اسباب الكفر
٢٣	الحق والواجب
٢٧	اول كانون الثاني
٣٢	باسيليوس الكبير
٣٩	غريغوريوس اللاهوتي
٤٦	يوحنا الذهبي الفم
٥٥	اعرف نفسك
٥٩	واجبات المسيحيين في الاحوال الحاضرة
٦٣	اصلاح خطأ
٦٤	فهرس الكتاب





CA 204:K45mA:c.1
الخوري، (البروتوسنجلوس) بولس
محاضرات دينية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01002611

American University of Beirut



CA

204

K45mA

General Library

